

قَالَتِ الْمُنَابِرُ

(المجموعة الثامنة)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

••  ••

قَالَتِ الْمَنَابِرُ

مجموعَةٌ مِنْ خُطَبِ الْجُمُعَةِ أُلْقِيَتْ فِي جَامِعِ
الْأَمِيرِ الرَّاحِلِ صَاحِبِ السُّمُو الشَّيْخِ عَيْسَى بْنِ سَلْمَانَ آلِ خَلِيفَةَ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
(الجموعَةُ الثَّامِنَةُ)

أَلْفَاها الرَّاجِي عَفْوَ رَبِّهِ
رَاشِدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ فَطِيْسِ الْهَاجِرِيِّ
حَفِظَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَوَالِدَيْهِ
خَطِيبُ جَامِعِ عَيْسَى بْنِ سَلْمَانَ آلِ خَلِيفَةَ
الرَّفَاعُ الْغَرِبِيُّ - مَمْلَكَةُ الْبَحْرَيْنِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المجموعة الثامنة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فله الحمد والفضل والمنة على عونه وتأييده وتيسيره إخراج المجموعة الثامنة من كتابي **(قالت المنابر)**، والتي تضم ثلاثين خطبة جمعة، خطبتها في جامع الأمير الراحل صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة - رحمه الله تعالى -، سائلاً المولى عز وجل أن يكتب لي ولوالدي ولزوجتي ولأولادي ولإخواني وأخواتي أجرها وثوابها، وأن يُثقل بها موازين حسناتنا يوم نلقاه، وأن يجعلها لنا صدقةً جاريةً ننتفع بها في دُنيانا وأخرانا، وأن ينفع بها كل من أسهم وساعد في إخراجها وطباعتها، وكل من قرأها واطلع عليها... اللهم آمين.

ملاحظة: للاطلاع على فكرة هذه المجموعة أرجو من القارئ الكريم قراءة مقدمة المجموعة الأولى. والحمد لله رب العالمين.

وكتبه: الراجي عفوَ ربه

راشدُ بنُ محمد بن فطيس الهاجري

حفظه الله وغفر لوالديه

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الرفاع الغربي - مملكة البحرين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المجموعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فقد بدأتُ الخطابة -بصفة رسمية- قبلَ عشرينَ سنةً تقريباً، وذلك حينَ التحقتُ بشعبة الإرشادِ والثقافةِ بالحرسِ الوطنيِّ، وكانَ منَ جملةِ مهامِّي الوظيفيةِ إلقاءُ خطبةِ الجمعةِ في جامعِ معسكرِ الحرسِ الوطنيِّ، إلى أن تشرفتُ بصدورِ التوجيهِ السَّاميِ الكريمِ لصاحبِ الجلالةِ الملكِ حمد بن عيسى آل خليفة ملكِ مملكةِ البحرين -حفظه اللهُ ورعاهُ- بتعييني خطيباً رسمياً لجامعِ المغفورِ له -بإذنِ الله تعالى- صاحبِ السموِّ الأميرِ الراحلِ الشيخِ عيسى بن سلمان آل خليفة طيبَ اللهُ ثراهُ، وذلك في عام ١٤٣١هـ الموافق ٢٠١٠م.

وفي خلالِ هذه الفترةِ التي قضيتها خطيباً أدركتُ تماماً أهميةَ خطبةِ الجمعةِ وخطورةَ التَّهاونِ فيها، فلقد كنتُ أقابلُ في كلِّ جمعةٍ عقولاً راجحةً جديرةً بالاحترامِ والاهتمامِ، فكنتُ أهتمُّ كثيراً بموضوعِ الخطبةِ، ولا أبالغُ إذا قلتُ: إنِّي أفكَّرُ في موضوعِ الخطبةِ التاليةِ منذُ بدايةِ الأسبوعِ، ولقد زادني تعظيماً لشأنِ الخطبةِ أن هذا المقامَ هو مقامِ النبيينِ والمرسلينِ، وهو توقيعٌ عن ربِّ العالمينِ، ووسيلةٌ عظيمةٌ لنشرِ الحقِّ وإذاعةِ الدينِ.

هذا المقام مقام الرُّسلِ قاطبةً وفوقه حاربوا كيدَ الشَّيَاطِينِ
وموطنُ النَّصْحِ والإرشادِ من زمنٍ ومنبرُ الحَقِّ والتَّعليمِ للدينِ

والحقُّ أَنِّي استفدْتُ كثيرًا منَ خطبِ العلماءِ ودروسِهِمْ وكتبِ الدُّعَاةِ
ومقالاتِهِمْ، فكنْتُ أَلْخُصُّ بعضَ الكتبِ والمقالاتِ والخطبِ وأُعيدُ صياغَتَهَا؛
ليتناسبَ المقالُ معَ المقامِ، ولا أدَّعي أَنِّي جئتُ في هذهِ الخطبِ بالجدِيدِ أَبَدًا، وإِنَّمَا
هي نُقُولٌ جمعتُها وألَّفتُ بينها وقدمتها على هيئةِ خطبةٍ.

ولمَّا كنتُ أَلقي هذهِ الخطبَ ارتجالًا منَ ذاكرتي دونَ كتابتِها أشارَ على بعضِ
الإخوةِ بتسجيلِها، ثمَّ تفرغِها في كتابٍ ليستفادَ منها.

زكاةُ العلمِ بذلٌّ ثمَّ نشرٌ وما كالعِلمِ في أخراكِ دُخْرٌ
تُفيدُ بهِ الخلائقَ كلَّ حينٍ ويبقى منه بعدَ الموتِ أجرٌ

ولقد كنتُ مترددًا كثيرًا في تلبيةِ طلبِهِمْ إلى أنْ شرحَ اللهُ صَدْرِي لذلكِ،
فقمْتُ بتفريغِ المجموعةِ الأولى منَ هذهِ الخطبِ -وعددها تسعَ وأربعونَ خطبةً-
في هذهِ المؤلِّفِ، وأخرتُ البقيةَ للمجموعاتِ القادمةِ بإذنِ اللهِ تعالى.

ولا يَسَعُنِي في هذا المقامِ وبعدَ شكري اللهُ على ما منَّ بهِ عليّ منَ فضلِ إخراجِ
هذهِ المجموعةِ منَ الخطبِ إلا أنْ أشكُرَ جميعَ منَ ساعدني وساهمَ في إخراجِ هذهِ
الخطبِ سائلًا اللهُ لي ولهمُ الأجرَ والثَّوابَ السَّدادَ والصَّوابَ.

تولاني الأجابةُ والصَّحابُ أعانوني فصاحبني الصَّوابُ
وخيرُ الصَّحبِ منَ يؤتيكَ نصحًا يفيدُك حينَ يغشاك الترابُ

وفي الختام أرجو ممن سيقراً هذه الخطب أن يعذرني إن وجدَ خطأً وخللاً؛
فقد ألقىت هذه الخطب - كما تقدّم - حفظاً من ذاكرتي.

وإن تجد عيباً فسُدّ الخلالاً جلّ من لا عيب فيه وعلاً

وعليه فأرجو ممن رأى شيئاً أن يبذل النصيحة ويوافيني بما وجد؛ لأتدارك
ذلك في الطبعات القادمة إن شاء الله.
والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

راشد بن محمد بن فطيس الهاجري

الرفاع الغربي - مملكة البحرين

جمادى الأولى ١٤٣٨هـ / فبراير ٢٠١٧م

للمراسلة: alhajrii.64@gmail.com





(١)

مُوجِبَاتُ الْمَغْفِرَةِ

•• ❁ ••

ما مِنَّا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ، بَلْ هِيَ ذُنُوبٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وَهُوَ فِي أَمْسِ الْحَاجَةِ لِمَحْوِ هَذِهِ الذُّنُوبِ وَسِتْرِهَا، وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِنَا أَنْ جَعَلَ لِمَحْوِ هَذِهِ الذُّنُوبِ مَسَالِكَ وَطَرِائِقَ وَوَسَائِلَ وَمُوجِبَاتٍ بِهَا تُغْفَرُ الذُّنُوبُ وَالْآثَامُ وَالسَّيِّئَاتُ. وَلَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ - كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي «مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ» - بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ فَقَالَ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ يَعْتَادُهُ الْفَيْئَةُ بَعْدَ الْفَيْئَةِ، أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ لَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُفْتَنًا تَوَابًا نَسِيًّا إِذَا ذُكِّرَ ذَكَرٌ»^(١).

وَإِنِّي أُذَكِّرُ بَعْضَ هَذِهِ الْمُوجِبَاتِ، وَهَذِهِ السُّبُلِ، وَهَذِهِ الطَّرِيقِ الَّتِي مَن أَخَذَ بِهَا وَسَلَكَهَا جَدِيرٌ أَنْ يُمَحَى ذَنْبُهُ وَسَيِّئَتُهُ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَلَكِنِّي أذَكِّرُ بَعْضَهَا؛ لِأَدُلُّ عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الْمُوجِبُ الْأَوَّلُ: الْإِيْمَانُ وَالتَّقْوَى الْمُقْرُونَانِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَالْعَبْدُ إِذَا أَتَى بِالْإِيْمَانِ، وَحَقَّقَ التَّقْوَى، وَقَرَنَ كُلَّ ذَلِكَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ كَانَ جَدِيرًا أَنْ يُمَحَى

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/٣٠٤، رقم ١١٨١٠)، والبيهقي في الشعب رقم (٦٧٢٢).

ذنبه وسيئته، هذا قول ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَدْ قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ءَاجِرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩].

الموجب الثاني: إذا استغفرت عُفِرَ لَكَ، فاطلبِ المغفرة من الله، والاستغفار هو طلبُ المغفرة من الله، وهو واحدٌ من هذه الموجباتِ العظيمة، قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

فالعبدُ إذا قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، فهذا يَعْنِي أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - كَمَا جَاءَ فِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» -: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ. غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»^(١)، والفراؤُ من الزحفِ كبيرةٌ من كبائرِ الذنوبِ.

بَلْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَالْحَدِيثُ عِنْدَ ابْنِ مَاجَةَ فِي «سُنَنِهِ» -: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ»^(٢). أي: تَنْظَفَ قَلْبُهُ مِنْ هَذِهِ النُّكْتِ؛ أَي: النُّقْطِ السَّوْدَاءِ.

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم (١٥١٧)، والترمذي: كتاب

الدعوات، باب في دعاء الضيف، رقم (٣٥٧٧)، من حديث زيد أبي يسار مولى رسول الله ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد (٢/٢٩٧)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطْفِفِينَ﴾،

رقم (٣٣٣٤)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، رقم (٤٢٤٤)، من حديث أبي

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بَلْ قَدْ جَاءَ فِي «صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ» حَدِيثٌ عَظِيمٌ، فِيهِ بَيَانُ سَعَةِ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَحْكِي عَنْ رَجُلٍ وَقَعَ فِي الذَّنْبِ، فَقَالَ: «رَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْ لِي. فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي. قَالَ: ثُمَّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا آخَرَ، قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ فَاغْفِرْ لِي. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْ لِي. فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»^(١).

وَذَلِكَ إِذَا كَانَ هَذَا حَالَهُ كَلَّمَا وَقَعَ فِي الذَّنْبِ اسْتَغْفَرَ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ.

الموجبُ الثالثُ: اجتنابُ الشُّرْكِ، فالشُّرْكُ لَا يُغْفَرُ إِلَّا بِتَوْبَةٍ صَادِقَةٍ نَصُوحٍ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْحَقِّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فَلْيَحْرِصِ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ أَبْعَدَ مَا يَكُونُ عَنْ أَيِّ عَمَلٍ يُفْضِي بِهِ إِلَى الشُّرْكِ، وَقَدْ جَاءَ فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» حَدِيثٌ قُدْسِيٌّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَحَادِيثِ، قَالَ اللَّهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فِيهِ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ،

(١) أخرجه ابن حبان رقم (٦٢٢)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وأخرجه أيضا البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ﴾، رقم (٧٥٠٧)، ومسلم: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، رقم (٢٧٥٨).

وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَا تَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةٌ»^(١).

الموجبُ الرابعُ: إحسانُ الوضوءِ، وإتمامُ الصلاةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - والحديثُ عندَ النَّسَائِيِّ -: «مَنْ تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ وَصَلَّى كَمَا أُمِرَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ»^(٢).

ففي أثناء الصلاة إذا أمّن الإمام فأمنت معه، غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وإذا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَقُلْتَ أَنْتَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ. غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ.

وقد جاء هذا في «صحيح البخاري»، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا آمَنَ الْإِمَامُ فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَاَفَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٣).
وقال: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ،

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، رقم (٣٥٤٠)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٤٢٣/٥)، والنسائي: كتاب الطهارة، باب ثواب من توضع كما أمر، رقم (١٤٤)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في أن الصلاة كفارة، رقم (١٣٩٦)، من حديث أبي أيوب الأنصاري وعقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين، رقم (٧٨٠)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، رقم (٤١٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).

أهناك شيءٌ أيسرٌ من ذلك؟! إنها بيانٌ لسعةِ رحمةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الموجبُ الخامسُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا»^(٢).

فقوله ﷺ: «فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ» أي: لم يتكلم أبداً، لا ردَّ السلام، ولا ابتداءً السلام، ولا أحضر معه أولاداً يُزعجون الناسَ، فإنَّ الَّذِي يُحْضِرُ مِنْ أَبْنَائِهِ مَنْ يُزَعِّجُ النَّاسَ فَإِنَّهُ لَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ هَذَا الْحَدِيثُ، وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ، وَهُوَ مِمَّنْ يَلْغُو فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، سِوَاءِ تَكَلَّمَ، أَوْ قَالَ لِأَبْنَائِهِ الَّذِينَ أَحْضَرَهُمْ مَعَهُ: اسْكُتُوا اسْكُتُوا. طَوَّلَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ، فَإِنَّ هَذَا مِنَ اللَّغْوِ، وَهُوَ أَثْمٌ.

وَقَدْ قَالَ أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ»، قَالَ: الرَّبِيعُ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: النِّصْفَ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: فَالثَّلَاثِينَ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْعَلُ لَكَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل اللهم ربنا لك الحمد، رقم (٧٩٦)، ومسلم: كتاب

الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، رقم (٤٠٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة، رقم (٨٥٧)، من

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: «إِذْنُ تُكْفِي هَمَّكَ، وَيُغْفِرُ لَكَ ذَنْبَكَ»^(١).

فكثرة الصلاة على النبي ﷺ - في مثل اليوم العظيم يوم الجمعة خاصة - هو من موجبات المغفرة.



(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٥٧)، من حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(٢)

فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ حُقُوقُ الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْأَقْرَابِ •• ❁ ••

جاء في «صحيح البخاري» أن النبي ﷺ آخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما، فرار سلمان الفارسي في يوم أخاه أبا الدرداء، فوجدته قد اشتغل بالعبادة، وقصر في حق نفسه وأهله، فقال له: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، فلما جاء الفجر جاء أبو الدرداء إلى النبي ﷺ فأخبره بما قال له سلمان، فقال رسول الله ﷺ: «صدق سلمان»^(١).

إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه؛ لذا أتحدث تحت هذا العنوان: (فأعط كل ذي حق حقه).
وأصحاب الحقوق كثر؛ فالآباء والأمهات، والأبناء والبنات، والأقارب والأرحام، الجيران، والأجراء، والأصحاب، كل أولئك لهم حقوق، فأعط كل ذي حق حقه -وما كان منها على سبيل الوجوب خاصة-؛ وهذه قاعدة عامة،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، رقم (١٩٦٨)، من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

وشارة بيضاء في ساحة هذا الدين.

وهناك ثلاثة أصناف لهم الحقوق الأولى التي ينبغي ألا نقرط فيها:
 الصنف الأول: الوالدان حقهما عظيم، فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بَيْنَ حَقِّ الْوَالِدَيْنِ،
 فقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ وَإِلَىٰ الْوَالِدَيْنِ
 إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وفي «صحيح البخاري» من حديث أبي بكرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟!» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: **«الإشراك بالله وعقوق
 الوالدين»** وجلس وكان مُتَكَتِّئًا، فقال: **«وَقَوْلُ الزُّورِ، وَقَوْلُ الزُّورِ»** فما زال يُكْرِرُهَا
 حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ ^(١).

فحق الوالدين قرنه الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** بحقه في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا
 حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ وَإِلَىٰ الْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١]
 فحقها عظيم.

وفي كتاب «الأدب المفرد» للإمام البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ**، يروي لنا أن ابن عمر
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نظر إلى رجل يمانياً جاء من اليمن، يحمل أمه على ظهره حاجاً بها أو
 مُعْتَمِرًا، وهو يطوف بها البيت، وهي على ظهره، وهو يُنشدُ يقول:
إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُدَلَّلُ إِن أَدْعَرْتُ رِكَابَهَا لَمْ أَدْعُرْ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، رقم (٢٦٥٤)، ومسلم:
 كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم (٨٧).

ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَى ابْنِ عَمْرٍ، وَيَقُولُ: يَا ابْنَ عُمَرَ أَتُرَانِي جَزَيْتَهَا؟ قَالَ: لَا وَلَا
بِزْفَرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ زَفَرَاتِهَا^(١). أَي: وَلَا بِنَأْوِهِ تَأَوَّهَتْهُ وَهِيَ تَلِدُكَ؛ لِأَنَّ حَقَّ الْوَالِدَيْنِ
عَظِيمٌ.

وَإِنَّ مِنْ أَبْلَغِ صُورِ التَّعَدِّيِّ عَلَى حَقِّ الْوَالِدَيْنِ التَّأْفُفَ مِنْهُمَا، وَمِنْ خِدْمَتَيْهِمَا،
وَمِنْ طَلِبَيْهِمَا، وَالتَّضَجُّرَ وَالتَّسَخُّطَ عَلَيْهِمَا، وَالتَّرْفُعَ عَلَيْهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى
رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ
كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا
جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

فَحَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَظِيمٌ، حَتَّى وَإِنْ كَانَا مُشْرِكَيْنِ، أَوْ كَانَا يُجَاهِدَانِكَ عَلَى
الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَ هَذَا الْأَمْرِ يَدْعُوكَ إِلَى صُحْبَتَيْهِمَا بِالْمَعْرُوفِ، قَالَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا
وَاصْبِرْ لَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ أَبْلَغِ صُورِ التَّعَدِّيِّ عَلَى
حَقِّهَا التَّأْفُفَ مِنْهُمَا وَالتَّضَجُّرَ عَلَيْهَا.

وَمِنْ صُورِ التَّعَدِّيِّ عَلَى حَقِّ الْوَالِدَيْنِ عَدْمُ احْتِرَامِهِمَا، وَإِجْلَالِهِمَا، وَتَوْقِيرِهِمَا،
فَإِنَّ هَذِهِ مَعْصِيَةٌ، بَلْ كَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ.

وَقَدْ مَاتَ ابْنُ لُحْمَرَ بْنِ ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ بَارًّا بِوَالِدِهِ، فَسُئِلَ: كَيْفَ كَانَ بَرُّهُ
بِكَ؟ قَالَ عُمَرُ: مَا مَشَى مَعِيَ نَهَارًا قَطُّ إِلَّا كَانَ خَلْفِي -تَوْقِيرًا وَاحْتِرَامًا وَإِجْلَالًا،
لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيَّ وَالِدُهُ- وَلَا لَيْلًا إِلَّا أَمَامِي -يَحْمِيهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ قَدْ يَعْتَرِضُ إِلَيْهِ- وَلَا

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (١١)، والبيهقي في الشعب رقم (٧٥٥٠).

رَقِيَّ عَلَى سَطْحٍ أَنَا تَحْتَهُ^(١). بَلَغَ بِهِ التَّوْقِيرُ وَالْإِجْلَالُ أَنَّهُ لَا يَرَقِي عَلَى سَطْحٍ وَالِدَهُ تَحْتَهُ.

وهذا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عُرِفَ أَنَّهُ كَانَ يُبَالِغُ فِي بَرِّهِ بَوَالِدَتِهِ، وَلَكِنَّهُمْ اسْتَنَكَرُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَأْكُلُ مَعَهَا فِي إِنَاءٍ، فَسُئِلَ عَن ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَسْبِقَ عَيْنُهَا إِلَى شَيْءٍ فِي الطَّعَامِ تَسْبِقُ إِلَيْهِ يَدِي فَأَكَلَهُ فَأَكُونَ قَدْ عَقَّقْتُهَا^(٢).

هذا هو الإجلالُ، وهذا هو التوقيرُ، فماذا يقولُ مَنْ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآثَارَ الْعَظِيمَةَ، وَقَدْ رَفَعَ يَدَهُ عَلَى وَالِدِهِ ضَرْبًا أَوْ إِشَارَةً؟! أَوْ قَدْ أَخْرَجَ وَالِدَهُ مِنْ بَيْتِهِ وَطَرَدَهُ، مِنْ بَيْتِهِ الَّذِي بَنَاهُ وَأَسَّسَهُ، أَوْ يَتَعَدَّى عَلَى مَالِ أَبِيهِ الَّذِي جَمَعَهُ، وَتَعَبَ فِي جَمْعِهِ؟!!

فهذا عليُّ بنُ الحسينِ لَا يَأْكُلُ اللَّقْمَةَ مِنَ الْإِنَاءِ خَشْيَةَ أَنْ تَكُونَ فِي نِيَّةِ وَالِدَتِهِ أَنْ تَأْكَلَ مِنْهُ.

الصنفُ الثاني من أصحابِ الحقوقِ: حُقُّ الأَوْلَادِ عَلَى آبَائِهِمْ، وَذَلِكَ حَتَّى تَسِيرَ عَلَى مَنْهَجِ صَالِحٍ وَسَطِيٍّ، فَكَمَا أَنَّ لِلْآبَاءِ حَقًّا، كَذَلِكَ لِلْأَبْنَاءِ حَقٌّ. وَمِنْ أَبْرَزِ صُورِ التَّعَدِّيِّ عَلَى حُقُوقِ الْأَبْنَاءِ، التَّسَاهُلُ فِي اخْتِيَارِ الْأَمْهَاتِ، فَقَدْ يَتَسَاهَلُ الْمَرْءُ حِينَمَا يَتَزَوَّجُ فِي اخْتِيَارِ الْمَرْأَةِ، وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ إِذَا تَسَاهَلَ فِي اخْتِيَارِ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ أَنَّهُ يَتَعَدَّى عَلَى حُقِّ أَبْنَائِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَقَدْ أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي

(١) البر والصلة لابن الجوزي (ص: ٨٩).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في البر والصلة (ص: ٨٦، رقم ٩٠).

«سُنن ابن ماجه» مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ ﷺ: «تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ، وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَانْكِحُوا إِلَيْهِمْ»^(١). أي: هذه النطفة التي هي أصلُ أبنائكم وبناتكم، تَخَيَّرُوا لها المحاضنَ المباركةَ، والمنابتَ الخيرةَ.

ويُروى عَنْ أَكْثَمِ بْنِ صَيْفِيٍّ -أَحَدِ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ، وَعُقْلَاتِهِمْ، وَلَهُ وَصَايَا بِالْغَةِ فِي الْأَهْمِيَّةِ-، يُوصِي أبنَاءَهُ، يَقُولُ: يَا بُنَيَّ لَا يَحْمِلَنَّكَ جَمَالُ النِّسَاءِ عَنْ صِرَاحَةِ النِّسَبِ -أي: لَا تَغْتَرَّ بِجَمَالِهَا الْيَوْمَ، وَأَنْتَ تَنْصَرِفُ عَنْ نَسَبِهَا وَشَرَفِهَا- فَإِنَّ الْمَنَاحِحَ الْكَرِيمَةَ مَدْرَجَةٌ لِلشَّرَفِ^(٢).

وقال أبو الأسود الدؤليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لِأَبْنَائِهِ: قَدْ أَحْسَنْتَ إِلَيْكُمْ صِغَارًا وَكِبَارًا وَقَبَلَ أَنْ تُوَلَدُوا. قالوا: يا أبانا كيف أحسنت إلينا قبل أن نُوَلدَ؟ قال: اخترتُ لكم مِنَ الْأَمْهَاتِ مَنْ لَا تُسَبُّونَ بِهَا. ثُمَّ أَنْشَدَ يَقُولُ:

وَأَوَّلُ إِحْسَانِي إِلَيْكُمْ تَخَيَّرِي لِما جَدَّةِ الْأَعْرَاقِ بِأَدِ عَفَافُهَا^(٣)

كَذَلِكَ مِنْ صُورِ التَّعَدِّيِّ عَلَى حَقِّ الْأَبْنَاءِ عَدَمُ تَرْبِيَّتِهِمْ عَلَى الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

الصنفُ الثالثُ مِنْ أَصْحَابِ الْحَقُوقِ: ذُوو الْأَرْحَامِ، فَإِنَّهُمْ مِنْ أَصْحَابِ

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب النكاح، باب الأكفاء، رقم (١٩٦٨).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص: ١٥٧-١٥٨).

(٣) أدب الدنيا والدين (ص: ١٥٨)، والبيت للرياشي.

الْحُقُوقِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُؤَدَّى لَهُمْ هَذِهِ الْحُقُوقُ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَعَاتِ ذَا
الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ [الإسراء: ٢٦] فجعل له حقًا.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ [الروم: ٣٨].

وقال رسولُ الله ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ مَنْ
وَصَلَّنِي، وَاقْطَعْ مَنْ قَطَعَنِي»^(١).

ومن أبرز صور التعدي على حقوق الأقارب؛ عدم معرفتهم، فحينما لا
يعرف الإنسان منا أهله وأقاربه وأرحامه، هذه صورة من صور التعدي، وقد
أمرنا رسولُ الله ﷺ أن نعرف أرحامنا وأقاربنا من أجل أن نصلهم، لا من أجل
أن نفتخر، فما الفائدة أن أضع في مجلسي شجرة العائلة وأنا قاطع لها؟!.

وقد قال رسولُ الله ﷺ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ»،
هذه الغاية «فَإِنَّ صَلَاةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، وَمَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَثْرِ»^(٢).

كذلك من صور التعدي على الأقارب والأرحام المكافأة في الوصل، يقول
أحدنا: إن وصلني فلان وصلته، وإن قطعني قطعته. فهذا ليس بواصل، فقد قال
رسولُ الله ﷺ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي» أي: الذي يشترط المكافأة «وَلَكِنَّ

(١) أخرجه البيهقي في الشعب رقم (٧٥٦٣)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٥)، من حديث
عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بنحوه.

(٢) أخرجه أحمد (٣٧٤ / ٢)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعليم النسب، رقم
(١٩٧٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمُهُ وَصَلَهَا»^(١). أي: يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، وَيَتَوَاصَلُ مَعَ مَنْ قَطَعَهُ، هَذَا الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُقَالَ عَنْهُ: وَاصِلٌ.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ، رقم (٥٩٩١)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



(٣)

فَاعْطِ كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ حَقُّ الزَّوْجَةِ •• ❁ ••

تَحَدَّثْنَا فِيهَا مَضَى عَنِ الْأَثْرِ الَّذِي ذَكَرَهُ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَدَّقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَالَ: «فَاعْطِ كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ»، وَتَحَدَّثْنَا عَنِ حَقِّ الْوَالِدِينَ، وَحَقِّ الْأَوْلَادِ، وَحَقِّ الْأَقْرَابِ.

أَمَّا الْآنَ فَحَدِيثُنَا عَنِ حَقِّ الزَّوْجَةِ عَلَى الزَّوْجِ، فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الْحَيَاةَ الزَّوْجِيَّةَ قَائِمَةٌ عَلَى الْمُوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وَالْحَيَاةُ الزَّوْجِيَّةُ قَائِمَةٌ أَيْضًا عَلَى التَّكَامُلِ لَا عَلَى التَّأْكُلِ، فَكُلُّ طَرَفٍ يُكْمَلُ الطَّرْفَ الْآخَرَ، لَا يَأْكُلُ الطَّرْفَ الْآخَرَ، كَمَا قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وَأَجْمَعَتْ كَلِمَةُ الْمُفَسِّرِينَ كَابِنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَمُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾،

قالوا: أي: هُنَّ سَكَنٌ لَكُمْ، وَأَنْتُمْ سَكَنٌ لِهِنَّ^(١). فكلُّ طرفٍ يُكْمَلُ الآخرَ.
وكما أَنَّ للأزواجِ حُقوقًا على زوجاتهم، كذلكَ للزوجاتِ حُقوقٌ على أزواجهنَّ، وحقُّ النساءِ عَظِيمٌ؛ لقولِ رسولِ اللهِ ﷺ كما جاءَ في «سُننِ ابنِ ماجه»: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أُخْرِجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ: الْيَتِيمَ وَالْمَرْأَةَ»**^(٢).
وقالَ ﷺ - كما جاءَ في «سُننِ التِّرْمِذِيِّ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: **«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُهُمْ خَيْرُهُمْ لِنِسَائِهِمْ»**^(٣).
والحقوقُ كَثِيرَةٌ، وَلَكِنِّي أَذْكَرُ بَعْضَهَا؛ لِنُزَاجَعِ البَعْضِ الآخرَ في حياتِنَا الخاصَّةِ.

أَمَّا الحَقُّ الأوَّلُ مِنْ حَقِّ الزوجاتِ على أزواجهنَّ فهو: أَنْ يَرْضَى بِهَا، فهو الَّذي اختارَها، وهذا حَقٌّ مَشْرُوعٌ لها، فتقولُ له: أَنْتَ الَّذي اخترتني، فَمِنْ حَقِّي عليك أَنْ تَرْضَى بي.

قالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾** [النساء: ١٩].

فإنَّه مِمَّا يُؤْلَمُ أَنْ يَأْتِيكَ الرَّجُلُ بَعْدَ أَنْ قَضَى مَعَ أَهْلِهِ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَقُولُ: هِيَ الْآنَ لَا تُعْجِبُنِي، فِيهَا العَيْبُ الفُلَانِيُّ والنَقْصُ الفُلَانِيُّ.

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٣٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣١٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٩)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب حق اليتيم، رقم (٣٦٧٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٠)، وأبو داود: كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيثار ونقصانه، رقم (٤٦٨٢)، والترمذي: كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم (١١٦٢).

وقَد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»^(١). لَا يَفْرَكُ، أَي: لَا يَبْغِضُ.

وهُنَاكَ مَنْ قَالَ:

إِذَا اخْتَرْتَ فَلْتَصْبِرْ عَلَى مَا اضْطَفَيْتَهُ وَلَا تَتَعَدَّرْ بَعْدَ نَقْصَا وَلَا عَيْبَا

فَإِنَّ مِنَ الْعَيْبِ أَنْ يَعِيبَ الرَّجُلُ عَلَى زَوْجَتِهِ عَيْبًا أَوْ نَقْصًا بَعْدَ مَرُورِ هَذِهِ السَّنَوَاتِ الطَّوَالِ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَرَ هَذَا الْعَيْبَ إِلَّا الْآنَ.

الْحَقُّ الثَّانِي: أَنْ يُسَلِّمَهَا صِدَاقَهَا كَامِلًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ، عَنْ طَيِّبِ نَفْسٍ دُونَ مُمَاطَلَةٍ، وَإِنَّكَ لَتَعَجِبُ مِنْ زَوْجٍ يُمَاطِلُ فِي صِدَاقِ زَوْجَتِهِ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ بِهَا، وَاسْتَمْتَعَ بِهَا، وَدُونَكُمْ الْمُحَاكِمَ، وَأَرْوَقَةَ الْقَضَاءِ، سَتَجِدُونَ الْعُجَابَ مِمَّنْ غَابَتْ ذِمَّتُهُ، وَاسْتَوْلَى عَلَى حَقِّ امْرَأَتِهِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

وَقَدْ جَاءَ فِي «مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَزَوَّجَ امْرَأَةً، فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ مِنْهَا، طَلَّقَهَا، وَذَهَبَ بِمَهْرِهَا»^(٢). فَلْيَتَّبِعْ لِهَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ كُلُّ مَنْ تَجَرَّأَتْ يَدَاؤُهُ عَلَى مَالِ زَوْجَتِهِ، أَوْ عَلَى مَهْرِهَا، أَوْ عَلَى حَقِّ مِنْ حَقُوقِهَا، فَأَكَلَهُ ظُلْمًا.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم (١٤٦٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (١٨٢/٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٤١/٧).

وهذا الصنف من الناس موجودٌ، وأخبارهم مسموعةٌ، وقد تجرؤوا على الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** بهذا الذنب العظيم.

الحقُّ الثالثُ: الإنفاقُ عليهنَّ، وكلُّ يُنفقُ من سَعَتِهِ، وعلى حسبِ مقدِّرته، قال اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾** [النساء: ٣٤].

وقد جاء في «صحيح مسلم» من حديث جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، يُخبرنا عن حُطْبَةِ النَّبِيِّ **ﷺ** في أعظمِ موقِفٍ قبل أن يموتَ بثمانينَ يوماً، حينما قامَ **ﷺ** في حجةِ الوداعِ يخطبُ، وقد أفرَدَ جزءاً كبيراً من حُطْبَتِهِ للتذكيرِ بحقِّ الزوجةِ على زوجِها، فقال: **«فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَحَدْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحَلَلْتُمُ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»** ^(١).

وإنَّكَ لتعجبُ من رجلٍ قد يسَّرَ اللهُ له المالَ، ووسَّعَ عليه في الرزقِ، وهوَ يخلُ بماله على زوجته وأولاده، وتعجبُ أيضاً من رجلٍ يجعلُ هذه المرأةَ تتسوّلُ عندَ البيوتِ، فتطرقُ هذا البابَ، وذاك البابَ، وزوجها حاضرٌ لا يُنفقُ عليها.

الحقُّ الرابعُ: حُسنُ المعاشرةِ - وقد مرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ - فكما أنَّه تُوجدُ فينا العيوبُ، ففي نساءنا عيوبٌ، وكما أنَّ النقصَ يعترينا، فكذلك النقصُ في نساءنا، والعاقلُ هوَ الَّذي يُداري ما يرى من النقصِ والعيبِ، ويستمتعُ بالموجودِ، ولا تَطْمَحُ نَفْسُهُ ولا عينُهُ بالمفقودِ، قال اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾** [النساء: ١٩].

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي **ﷺ**، رقم (١٢١٨).

وقد جاء في «صحيح ابن حبان» أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ» أي: فيها اعوجاج ولا بُدَّ «فَإِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا». أي: إذا حاولت أن تُعدّل هذا الاعوجاج سينكسر؛ لأنه عظمٌ «فَدَارِهَا تَعِشْ بِهَا»^(١).

وجاء أيضًا في «صحيح البخاري» أن رسول الله ﷺ قال: «الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا، اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عَوْجٌ»^(٢).

الحقُّ الخامس: عليك أيها الرجل أن تعلم أن المرأة يعترها من الأحوال ما يُؤثّر في نفسها، فتغضب وترضى، وتحنن وتفرح؛ لما يعترها مما يعترى النساء، فالرجل العاقل هو الذي يعرف ما تُعاني منه زوجته فيُدّارها، وانظر إلى النبي ﷺ -خير الأزواج في مُعاشرته لأهله-، فقد جاء في «صحيح البخاري» من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي أصغر منه سنًا بكثيرٍ: «يَا عَائِشَةُ إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي» تصوّر هذا الموقف، عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أمُّ المؤمنين يأتيها من الأحوال ما يجعلها تغضب على النبي ﷺ، فلا تستغرب أن تغضب عليك زوجته.

قالت: يا رسول الله من أين تعرف ذلك؟ قال: «إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، قُلْتُ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي، تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ»، قالت:

(١) أخرجه أحمد (٨/٥)، وابن حبان في صحيحه رقم (٤١٧٨)، والحاكم في المستدرک (١٧٤/٤)، من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب المدارة مع النساء، رقم (٥١٨٤)، ومسلم: كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم (١٤٦٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَجَلٌ، وَاللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ ^(١).
 فالعاقِلُ هُوَ الَّذِي لَا يَغْفُلُ عَن هَذَا الْحَقِّ، الَّذِي هُوَ سَبَبُ رَيْسُ فِي سَيْرِ
 سَفِينَةِ الْحَيَاةِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَزَوْجَتِهِ.

الْحَقُّ السَّادِسُ: أَنْ يَغَارَ عَلَيْهَا، وَلَكِنَّ الْغَيْرَةَ الْمَحْمُودَةَ، لَا الْغَيْرَةَ الْقَاتِلَةَ
 الْمَفْرُوقَةَ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَالْحَدِيثُ عِنْدَ النَّسَائِيِّ: «إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ
 عَزَّوَجَلَّ، وَإِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُبْغِضُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ،
 فَالْغَيْرَةُ فِي الرَّبِيبَةِ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رَبِيبَةٍ» ^(٢).

فالغيرةُ حقٌّ للمرأة، وهي تُريدُ أَنْ تَشْعَرَ بِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَغَارُ عَلَيْهَا، فَقَدْ
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ فِي
 «شُعَبِ الْإِيمَانِ» - : «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ أَبَدًا: الدُّيُوثُ مِنَ الرِّجَالِ، وَالرَّجُلَةُ مِنَ
 النِّسَاءِ، وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُدْمِنُ الْخَمْرِ قَدْ عَرَفْنَا، فَمَا الدُّيُوثُ
 مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يُبَالِي مَنْ دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ»، ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الرَّجُلَةِ مِنَ
 النِّسَاءِ، فَقَالَ: «الَّتِي تُشَبَّهُ بِالرِّجَالِ» ^(٣).

الْحَقُّ السَّابِعُ: أَنْ يُلَاطِفَهَا، وَيُشَبِّعَ عَاطِفَتَهَا، فَإِنَّ مِنَ النِّسَاءِ مَنْ تَشْعُرُ بِفَقْرِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، رقم (٥٢٢٨)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رقم (٢٤٣٩).

(٢) أخرجه أحمد (٤٤٥/٥)، وأبو داود: كتاب الجهاد، باب في الخيلاء في الحرب، رقم (٢٦٥٩)، والنسائي: كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة، رقم (٢٥٥٨)، من حديث جابر بن عتيك الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب رقم (١٠٣١٠).

عاطفيّ فظيع، يجعلها تلجأ إلى مَنْ يُشبعُ عاطفتها، فالمالُ مُتوفّرٌ، لكنّها تشعرُ بفقرٍ عاطفيّ، وتدبّروا سيرة النبي ﷺ، وليتنا نعيش مع سيرته ليلَ نهارٍ نقرأها في مدارسنا وجامعاتنا ومجالسنا ومساجدنا.

فقد قالت أمُّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ فَاهُ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَشْرَبُ مِنْهُ، فَيَشْرَبُ مِنْ فَضْلَةِ شَرَابِي وَأَنَا حَائِضٌ»^(١)؛ أي: يأخذُ الإناءَ الَّذِي شَرِبْتُ مِنْهُ عَائِشَةُ، وَيُدِيرُهُ أَمَامَ عَيْنِهَا، وَيَشْرَبُ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي شَرِبْتُ مِنْهُ. مَنْ يَفْعَلُ هَذَا الْيَوْمَ؟! إِنَّهُ يُشَبِّعُ هَذِهِ الْغَرِيزَةَ الَّتِي فِي نَفْسِهَا.

وقال أنسُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -والحديثُ في «صحيح البخاري»-: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رِكْبَتَهُ الشَّرِيفَةَ، فَتَأْتِي صَفِيَّةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ -زَوْجَتُهُ- رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَتَضَعُ قَدَمَهَا عَلَى رِكْبَتِهِ، فَتَرْكَبُ عَلَى الْبَعِيرِ»^(٢)؛ هَكَذَا يُلَاطِفُ ﷺ نِسَاءَهُ وَيُشَبِّعُ عَاطِفَتَهُمْ.

فما حالنا اليوم لو رأينا مَنْ يَفْعَلُ هَذَا الْفِعْلَ، أَوْ رَأَيْنَا مَنْ يَفْتَحُ بَابَ السَّيَارَةِ لِزَوْجَتِهِ مَاذَا سَنَقُولُ عَنْهُ وَعَنْ هَذِهِ الزَّوْجَةِ؟ لَكِنَّا نَقْبَلُ أَنْ نَرَى السَّائِقَ يَفْتَحُ الْبَابَ لِزَوْجَاتِنَا، وَنَرَى هَذَا صُورَةً مِنْ صُورِ التَّحْضُرِ، لَكِنْ لَوْ رَأَيْنَا زَوْجًا فَتَحَ الْبَابَ لِزَوْجَتِهِ، لَقُلْنَا فِيهِ كَذَا وَكَذَا، وَأَسْقَطْنَا رَجُولَتَهُ وَهَيْبَتَهُ، وَالسَّبَبُ أَنَّ الْمَفَاهِيمَ انْتَكَسَتْ حِينَمَا ابْتَعَدْنَا عَنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

هذا شيءٌ يَسِيرٌ مِنْ حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا.

(١) أخرجه النسائي: كتاب الحيض، باب مؤاكلة الحائض، رقم (٣٧٨). وأخرجه بنحوه مسلم:

كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها، رقم (٣٠٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها، رقم (٢٢٣٥).

الحق الثامن: تعليم الزوجة ما ينفعها في أمر دينها ودنياها، وهو من أعظم هذه الحقوق، ومقدم عليهما، وأخرته ليبقى في الأذهان حاضرًا.

فتعليم الزوجة صلاتها كيف تُصلي، وصيامها كيف تصوم، وتعليمها شرع الله، وتعليمها ما يتقدها من النار، فهذا من أعظم الحقوق، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** [التحریم: ٦].

وقال رسول الله ﷺ: **«ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ، ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ»** وذكر من هؤلاء الثلاثة، قال: **«وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أُمَّةٌ، فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا، وَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ»**^(١).

فمن أعظم الحقوق والواجبات أن تُربي نساءنا، ونؤدبهن، ونعلمهن ما ينفعهن في أمر دينهن ودنياهن.

هذه بعض الحقوق التي قال عنها سلمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في حديثه: **«فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»**، وصدقَه رسول الله ﷺ.



(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمتة، رقم (٩٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم (١٥٤)، من حديث أبي موسى الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.



(٤)

زِينُوا بُيُوتَكُمْ



ما مِنَّا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَحْرُصُ كُلَّ الْحَرِصِ عَلَى مُمْتَلِكَاتِهِ وَمُقْتَنِيَاتِهِ، بَلْ تَجِدُهُ حَرِيصًا عَلَى تَحْسِينِهَا، وَتَجْمِيلِهَا، وَتَزِينِهَا، وَإِنَّ أَعْظَمَ وَأَجَلَّ مَا يَمْتَلِكُهُ الْإِنْسَانُ بَيْتَهُ، وَمَقَرُّ سَكْنِهِ؛ إِذْ فِيهِ مَأْوَى السَّكَنِ، وَالرَّاحَةُ وَالطَّمَأْنِينَةُ.

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَتَعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا تُزِينُ بِهِ الْبُيُوتُ، وَتُحَسِّنُ وَتُجَمِّلُ، أَنْ تُقَامَ عَلَى شَرَعِ اللَّهِ وَمِنَاجِيهِ، وَعَلَى هَدْيِ رَسُولِهِ ﷺ؛ لَذَا كَانَ الْحَدِيثُ تَحْتَ هَذَا الْعِنْوَانِ: زِينُوا بُيُوتَكُمْ.

وزينتها تكونُ بأمورٍ:

الزينة الأولى: كثرة الصلاة فيها، فإن البيوت تزِينُ وتُجَمِّلُ كلما كثرت الصلاة فيها، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

وقَدْ جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، وَغَيْرِهِمَا، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا»^(١).
فَإِنَّ الْبُيُوتَ الَّتِي لَا يُصَلَّى فِيهَا هِيَ أَشْبَهُ مَا تَكُونُ بِالْقُبُورِ الْمُوَحِّشَةِ الْمُظْلَمَةِ،
الَّتِي لَا يَأْنَسُ فِيهَا الْخَلْقُ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: وَلِيَتَبَرَّكَ
الْبَيْتُ بِذَلِكَ، وَتَنْزَلَ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَالْمَلَائِكَةُ، وَيَنْفَرُ مِنْهُ الشَّيْطَانُ^(٢).

بَلْ دُونَكَ هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ فِي مَسْجِدِهِ، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ
مِنْ صَلَاتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا»^(٣).

وَهَذَا خُطَابٌ لَنَا جَمِيعًا، أَنَّنَا إِذَا صَلَّيْنَا غَيْرَ الْمَكْتُوبَةِ، فَلْنُكْثِرْ مِنْ صَلَاتِنَا فِي
بُيُوتِنَا، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ خَيْرًا، وَالْخَيْرُ كَثِيرٌ؛ خَيْرٌ فِي تَعْلِيمِ الْأَبْنَاءِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ، وَخَيْرٌ
مَعْنَوِيٌّ لَا نَعْلَمُهُ، إِنَّمَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ، وَخَيْرٌ فِي دَرَجَاتِهَا، فَإِنَّ الصَّلَاةَ النَّافِلَةَ فِي الْبَيْتِ
أَعْظَمُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ، كَمَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَجَاءَ فِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ أَفْضَلُ مِنْ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب كراهية الصلاة في المقابر، رقم (٤٣٢)، ومسلم: كتاب
صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، رقم (٧٧٧).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٦٨).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، رقم
(٧٧٨).

صَلَاتِهِ فِي مَسْجِدِي هَذَا إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ»^(١).

تأمل! صلاة في مسجد النبي ﷺ تعدل ألفاً^(٢)، وصلاة الرجل في بيته أفضل من صلاته في مسجد النبي ﷺ.

وقد جاءت أم حميد - صحابية رضي الله عنها - إلى النبي ﷺ، قالت: يا رسول الله إنني أحب الصلاة معك - أي: في مسجدك - قال: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تُحِبُّنَ الصَّلَاةَ مَعِي، وَصَلَاتِكَ فِي بَيْتِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ»، والبيت هو مكان ضيق في أقصى الحجرة «وَصَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي دَارِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي دَارِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِي»^(٣).

فالصلاة في البيوت، فيها خير كثير، لا يعلمه إلا الله، ولكن الله سبحانه وتعالى أرشدنا أن نزين البيوت بكثرة الصلاة فيها. الزينة الثالثة: التواصي على الحق، أي: التواصي بين الرجل وزوجته، يوصيها بطاعة الله، وتوصيه بطاعة الله، ويوصي الرجل أبناءه، ومن معه في البيت، فإن هذا من زينة البيوت.

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب صلاة الرجل التطوع في بيته، رقم (١٠٤٤)، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم (١١٩٠)، ومسلم: كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم (١٣٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٦/٣٧١).

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَمْتَدِحُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤-٥٥].

وقال سبحانه وتعالى في سورة طه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْتَكُ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وجاء في «سُنن أبي داود» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ بَيْتِ أَهْلِهِ مَرْحُومُونَ، قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»^(١). وذلك لأنهم يتواصون فيه على الخير وعلى المعروف.

الزينة الثالثة: كثرة الذكر؛ في البيت، وعند الدُّخُولِ، وعند الخروج، وفي نواحي البيت يُحَلَّقُ طائرُ الذكرِ.

قال رسول الله ﷺ، والحديث في «صحيح مسلم»: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٥٠)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب قيام الليل، رقم (١٣٠٨)، والنسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الترغيب في قيام الليل، رقم (١٦١٠)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل، رقم (١٣٣٦).

فِيهِ، وَالْبَيْتُ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(١).

ولكَ أن تَتَصَوَّرَ بَيْتًا حَيًّا، وَبَيْتًا مَيِّتًا، الْبَيْتُ الْحَيُّ هُوَ الَّذِي يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ كَثِيرًا، الْوَالِدُ وَالْوَالِدَةُ، وَالْأَبْنَاءُ يُكْثِرُونَ مِنَ الذِّكْرِ فِي هَذَا الْبَيْتِ، هَذَا بَيْتٌ حَيٌّ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَقَدْ بَيَّنَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَةَ هَذِهِ الْحَيَاةِ، فَقَالَ ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ، هُمْ وَرَدُّ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ «إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَعَشِيَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٢).

فبِهَذَا تُزِينُ الْبُيُوتُ، لَا بِالتَّصَاوِيرِ وَالتَّمَاثِيلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

الزينة الرابعة - وهي داخلية في الزينة الثالثة - قراءة القرآن، فالبيت الذي يُقرأ فيه القرآن قال عنه أبو هريرة رضي الله عنه - ولا يمكن أن يأتي أبو هريرة بكلام من عند نفسه، بل أخذ من النبي ﷺ، فهذا حديث له حكم المرفوع - قال: «إِنَّ الْبَيْتَ لِيَتَسَعُ عَلَى أَهْلِهِ» وَإِنْ كَانَ ضَيْقًا «وَتَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَهْجُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ، أَنْ يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَإِنَّ الْبَيْتَ لِيَضِيقُ عَلَى أَهْلِهِ»، وَإِنْ كَانَ وَاسِعًا كَبِيرًا، يَشْعُرُ أَهْلُهُ بِالضَيْقِ، وَالْحَرَجِ، وَالْعَنْتِ، وَالْمَلَلِ «وَتَهْجُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَحْضُرُهُ

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، رقم

(٧٧٩)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم (٢٦٩٩)، من

حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الشياطين، ويقُلُّ خَيْرُهُ، **أَلَا يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ**^(١). وهذا أمرٌ معلومٌ، ومشاهدٌ، ومحسوسٌ.

فهذا يزينُ البيوتَ، والملائكةُ في السماءِ تُبصرُ هذا البيتَ الَّذي يكثرُ فيه من الذكرِ، ويكثرُ فيه من قراءةِ القرآنِ لهذا النورِ الساطعِ منه، وتنصرفُ عنه الشياطينُ. وقد قال رسولُ الله ﷺ على وجهِ الخصوصِ في سورةِ البقرة: **«لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»**^(٢).

بلُ جاءَ في «سنن الترمذي» أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْفَيِّ عَامٍ، أَنْزَلَ مِنْهُ آيَاتِنِ، خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلَا يُقْرَأُ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبَهَا شَيْطَانٌ»**^(٣). وبهذا تُزينُ البيوتُ، وتُحسُنُ، وتُجْمَلُ. ومما تُزينُ به البيوتُ، السلامُ لمن دخلَ على من هوَ فيها. أي: أن يُسلمَ أهلها على بعضٍ، يقولون: السلامُ عليكم، فهذا زينةٌ تزينُ بها بيوتُ الصالحينَ.

قال اللهُ تبارك وتعالى: **﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** [النور: ٦١].

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/٢٧٣، رقم ٧٩٠)، وابن أبي شيبة في المصنف رقم (٣٠٦٥٠)، والدارمي في السنن رقم (٣٣٥٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، رقم (٧٨٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٤/٢٧٤)، والترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في آخر سورة البقرة، رقم (٢٨٨٢)، من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وأوصى رسول الله ﷺ خادمته أنسا رضي الله عنها بهذه الوصية، فقال: «يَا بُنَيَّ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ، يَكُونُ بَرَكَهٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ»^(١). أي: تحلُّ البركةُ عليك أيها المسلم، وعلى أهل البيت؛ فالعاقلُ مَنْ سارَ بأهله في بيته على منهاج ربِّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهدى رسولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(١) أخرجه الترمذي: كتاب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم إذا دخل بيته، رقم (٢٦٩٨).



(٥)

لماذا الحب في الله؟



نِعْمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْنَا كَثِيرَةٌ، لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَإِنَّ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ، وَمِنْ أَجْلِهَا نِعْمَةَ الْإِخَاءِ وَالْمَحَبَّةِ فِي اللهِ، فَهِيَ وَاحِدَةٌ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَمَتَّنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَا عَلَى عِبَادِهِ، وَذَكَرَهُمْ بِهَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والأصل في المؤمنين أنهم يعيشون على هذا الأمر، أخوة وحب في الله، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. فالرابطة التي تجمعني بفلان المسلم المؤمن هي رابطة الحب في الله، والإخاء في الله، ليس بيني وبينه مصلحة مرجوة، لا دينار، ولا درهم، ولا غير ذلك، هذه أعظم الروابط.

فلماذا الحب والأخوة في الله؟

الجواب:

أولاً: لأنه أوثق عرى الإيمان، فالإيمان حلقة متصلة، عروة آخذة بعروة أخرى، وكل عروة من هذه العرى محكمة، لكن أوثق هذه العرى الحب في الله.

قال البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - والحديث عند أحمد في «مُسْنَدِهِ» -: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ؟» قَالُوا: الصَّلَاةُ. قَالَ: «حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا» قَالُوا: الصَّلَاةُ. قَالَ: «حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا»، قَالُوا: الزَّكَاةُ. قَالَ: «حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا». قَالُوا: صِيَامُ رَمَضَانَ. قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ». قَالُوا: الْحُجُّ. قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ». قَالُوا: الْجِهَادُ. قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ، إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»^(١).

فَأَوْثَقُ الرُّوَابِطِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَأَخِيهِ، وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَأَخِيهِ، رَابِطَةُ الْحَبِّ، لَكِنَّ الْحَبَّ الْمَشْرُوطَ أَنْ يَكُونَ فِي اللَّهِ، لَا لِمَقْصِدٍ آخَرَ، وَلَا لِرَجَاءٍ آخَرَ، وَلَا لَغَايَةٍ وَهَدَفٍ آخَرَ، إِنَّمَا هُوَ لِلَّهِ.

ثَانِيًا: لِأَنَّ صَاحِبَ الْحَبِّ وَالْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ يَفُوزُ بِظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ نَعِيمٌ عَظِيمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ تَدْنُو الشَّمْسُ مِنْ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، وَالنَّاسُ أَحْوَجُ مَا يَكُونُونَ إِلَى الظِّلِّ، يَكُونُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ. هَكَذَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى اللَّهِ وَاسْتَوَى، فَقَدْ جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيُّنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»^(٢).

وَجَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي حَدِيثِ السَّبْعَةِ الْمَشْهُورِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٨٦).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب في فضل الحب في الله، رقم (٢٥٦٦)، من حديث أبي

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر من السبعة، قال: «وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»^(١).

ثالثاً: للفوز بمحبة الله.

فَمَنْ أَحَبَّ الْمُسْلِمَ لِلَّهِ، أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ لِلَّهِ فَقَطُّ، فَازَ بِهِذِهِ الثَّمَرَةَ، أَحَبَّهُ اللَّهُ.

فقل لي: إذا أحببك الله كيف تكون حياتك؟ وكيف تكون معيشتك؟ وكيف تحيا؟ وكيف تُصبح وتُسي، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جُحُوبُكَ؟!**

قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَجَبَتْ حُبِّي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ**»^(٢).

بل أخبرنا النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** - والحديث في صحيح مسلم - من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال وهو يُخْبِرُ أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، قَالَ: «**فَأَرَادَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا**». أي: جعل له في الطريق ملكًا على هيئة رجلٍ «**فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ**» أي: مرَّ به «**قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أَخَا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ**». قَالَ: **هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟**». أي: هل تُوجدُ مصلحةً بينك وبينه، أو دينٌ تَسْتَرِدُّهُ؟ «**قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّجَلَّ**». أي: الذي أخرجني من بيتي، ومن قريتي،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، رقم (٦٦٠)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٩٥٣، رقم ١٦)، وأحمد (٥/٢٣٣)، من حديث معاذ بن جبل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ومدينتي، إليه في بيته، أو مسجده، أو دُكانه، هو الحبُّ في الله.
 فقال هذا الملكُ لهذا الرجلِ: «فإني رسولُ الله إليك بأنَّ الله قد أحَبَّك كما
 أَحَبَّته فيه»^(١).

رابعًا: لأنَّ من أتى بهذه المحبة والأخوة ذاقَ طعمَ الإيمان، فالإيمانُ في
 القلوبِ له طعمٌ، وحلاوةٌ، ولذَّةٌ، لا يجدها إلا من عملَ بأسبابٍ يجدُ بها ذلك،
 ومن هذه الأسبابِ أن يكونَ حُبُّك لفلانٍ لله، عندَ ذلك ستجدُ طعمَ الإيمانِ
 ولذَّته.

أخبرَ بذلك رسولُ الله ﷺ، قال: «من سرَّه أن يجدَ طعمَ الإيمانِ؛ فليحبَّ
 العبدَ لا محبةٍ إلا لله عزَّ وجلَّ»^(٢).

هذه العبادة التي قلَّت في مجتمعاتِ الناسِ اليوم، فصارتِ العلاقاتُ قائمةً على
 المصالحِ والمنافع، وعلى الدنيا، يُحبُّه لمصلحةٍ ومنفعةٍ دُنويةٍ، ثم يشتكي أنه لا يجدُ
 للإيمانِ طعمًا، فيقالُ له: ما أخذتَ بسببها، وما سلكتَ طريقها.

خامسًا: للفوزِ بأعظمِ الأماكنِ عندَ الله يومَ القيامةِ وأقربها إليه، فيومَ القيامةِ
 الأماكنُ مُختلفةٌ، وأعظمُها ما كانَ قريبًا منَ الله، والمتحابُّون في جلالِ الله يكونونَ
 قريبينَ منَ الله.

فما ظنُّك بمن كانَ يومَ القيامةِ قريبًا منَ الله عزَّ وجلَّ، والأحاديثُ في ذلك
 كثيرةٌ، أذكرُ منها ما جاءَ عندَ الترمذِيِّ في «سننه» أن رسولَ الله ﷺ قال: «يقولُ اللهُ

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب في فضل الحب في الله، رقم (٢٥٦٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٢٩٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»^(١).
 يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ**، قَدْ هَيَّيْتُ لَهُمْ مَنَابِرَ،
 وَلَكِنَّ مَنَابِرَهُمْ لَيْسَتْ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَلَا مِنَ الْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ، وَلَا مِنْ أَجْوَدِ أَنْوَاعِ
 الْخَشَبِ، إِنَّهَا مَنَابِرُهُمْ مِنْ نُورٍ، وَلَكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ صُورَةَ هَذِهِ الْمَنَابِرِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي عِلَاقَةٍ قَائِمَةٍ عَلَى الْحَبِّ فِي اللَّهِ.
 سَادِسًا: لِلْفَوْزِ بِعُلُوِّ الْمَكَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ، وَبِالْخَيْرِيَّةِ وَالْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**،
 فَهَذَا الْأَمْرُ يَجْعَلُكَ مُفْضَلًا عِنْدَ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

فَقَدْ جَاءَ عِنْدَ الْحَاكِمِ فِي «مُسْتَدْرَكَه» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ **ﷺ**
 قَالَ: «مَا تَحَابَّا رَجُلَانِ، إِلَّا كَانَ أَحْفَظَهُمَا - أَي: عِنْدَ اللَّهِ - أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ»^(٢).
 لَيْسَ حُبًّا فِي اللَّهِ فَقَطْ، بَلِ الْأَكْثَرُ حُبًّا وَأَشَدُّ حُبًّا، هُوَ الْأَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حَتَّى تَتَوَثَّقَ هَذِهِ الْعِلَاقَاتُ، وَتَقْوَى وَتَزِيدُ.

وَجَاءَ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» لِلْبُخَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** قَالَ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ»^(٣). فِينَالُ بِهَا الْعَبْدُ الْخَيْرِيَّةَ وَالْفَضْلَ عِنْدَ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
 عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ اسْمُهَا عِبَادَةُ الْحَبِّ فِي اللَّهِ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ، وَلِأَخِيكَ الْمُؤْمِنِ،**

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٣٩/٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الزَّهْدِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْحَبِّ فِي اللَّهِ، رَقْمُ (٢٣٩٠)،
 مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ رَقْمُ (٥٤٤)، وَابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ رَقْمُ (٥٦٦)، وَالْحَاكِمُ
 فِي الْمُسْتَدْرَكِ (١٧١/٤).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ رَقْمُ (١١٥)، وَأَحْمَدُ (١٦٧/٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الْبِرِّ
 وَالصَّلَاةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الْجَوَارِ، رَقْمُ (١٩٤٤)، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

دون أن تنظرَ لموطنه ومولده وجنسه وجنسيته، وصورته، ومنصبه، بل تنظرُ إلى
أمرٍ واحدٍ، وهو كونه مُسلمًا ومؤمنًا، فتزِيدُ له في الحبِّ والإخاء.





(٦)

الْحُبُّ فِي اللَّهِ ثَمَارٌ وَضَوَابِطٌ



تَحَدَّثْنَا فِيهَا مَضَى عَنْ عِبَادَةٍ هِيَ مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ وَأَعْظَمِهَا، وَمِنْ لَوَازِمِ
الْإِيمَانِ، وَهُوَ الْحُبُّ وَالْإِحَاءُ فِي اللَّهِ، وَتَحَدَّثْنَا عَنْ ثَمَرَةِ تِلْكَ الْعِبَادَةِ، وَهَاهُنَا حَدِيثٌ
مُتَّصِلٌ بِذَلِكَ الْحَدِيثِ، وَهُوَ ضَوَابِطُ الْأُخُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، هَذِهِ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ، فَإِذَا أَرَدْتَ
أَنْ تُؤَسِّسَ لَهَا، فَاسَّسْ لَهَا عَلَى هَذِهِ الضَّوَابِطِ وَالْأُسُسِ، حَتَّى تَسْتَفِيدَ مِنْهَا فِي أَمْرِ
دِينِكَ وَدُنْيَاكَ، وَتَسْتَفِيدَ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهِيَ خَمْسُ ضَوَابِطٍ شَرْعِيَّةٍ:
الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: اجْعَلْ حَبَّكَ وَأُخُوتَكَ لِلَّهِ، لَا لِأَيِّ حَظٍّ مِنْ حِظْوِ الدُّنْيَا
الْآئِنَةِ، أَوِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ، فَلَا تَبْنِ أَيْةَ عِلَاقَةٍ وَأَنْتَ تَنْظُرُ فِي هَذَا الْبِنَاءِ لِصَلْحَةٍ مِنْ
مَصَالِحِ الدُّنْيَا الْآئِنَةِ أَوِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ.

وَانظُرْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يُؤَسِّسُ لِهَذَا الضَّابِطِ، فَقَدْ جَاءَ فِي «مُسْنَدِ
أَحْمَدَ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُجِدَ طَعْمَ
الْإِيمَانِ، فَلْيُحِبِّ الْعَبْدَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١). لَا لِشَيْءٍ آخَرَ، هَذِهِ الْمَحَبَّةُ هِيَ
الْمَحَبَّةُ الصَّادِقَةُ، وَهُوَ ضَابِطٌ رِئِيسٌ.

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٩٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بَلْ جَاءَ فِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» مَا هُوَ أَوْضَحُ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأَنْسَاءَ مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى»، قَالَ الصَّحَابَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنْ وُجِّهَهُمْ لِنُورٍ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ». ثُمَّ قَرَأَ ﷺ آيَةَ مِنْ سُورَةِ يُونُسَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

الضابطُ الثاني: اِحْرَاضٌ عَلَى الْإِنْتِقَاءِ، وَتَفَنُّنٌ فِي الْإِخْتِيَارِ، وَاحْرَاضٌ عَلَى مَنْ فِي أُخُوَّتِهِ مَصْلِحَةٌ لَكَ فِي أَمْرِ دِينِكَ، فَهَذَا الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا تَكُنْ كَالَّذِي لَا يُحْسِنُ الْإِخْتِيَارَ، وَحَالُهُ كَحَالِ الْإِسْفَنْجَةِ مَنْ وَجَدَ صَاحِبَهُ وَآخَاهُ، وَبِذَلِكَ لَهُ الْحَبُّ، وَهَذَا لَيْسَ مِنَ الْإِصْطِفَاءِ، وَلَا مِنْ حُسْنِ الْإِخْتِيَارِ، فَإِنَّ الَّذِي لَا يُحْسِنُ الْإِخْتِيَارَ فِي الدُّنْيَا، سَيَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا، وَلَكِنْ يَنْدِمُ سَاعَةً لَا يَنْفَعُ النَّدْمُ.

لِذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يُؤَسِّسُ لِهَذَا الضَّابِطِ، كَمَا جَاءَ فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ»: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»^(١)؛ لِأَنَّ أَوَّلَ مَا يَتَأَثَّرُ فِي هَذِهِ الصَّحْبَةِ هُوَ الدِّينُ.

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٨)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم (٤٨٣٢)،

والترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، رقم (٢٣٩٥)، من حديث أبي سعيد

الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي
 إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبُ خِيَارِهِمْ وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِيِّ^(١)
 وقال رسول الله ﷺ كما جاء في «مُسْنَدُ أَحْمَدَ»: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ
 أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(٢). فأول ما يتأثر فيك هو دينك.
 ومِعْيَارُ مِقْيَاسٍ وَتَقْيِيمِ شَخْصِكَ، يَكُونُ مِنْ خِلَالِ الدِّينِ، وَمَنْ تُصَاحِبُ؛
 لِذَقِيلٍ:

أَنْتَ فِي النَّاسِ تُقَاسُ بِالَّذِي اخْتَرْتَ خَلِيلاً
 فَاصْحَابُ الْأَخْيَارِ تَعْلَمُوا وَتَنْلُ ذِكْرًا جَمِيلاً^(٣)

فالناسُ كَثْرٌ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا
 وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَوَّلِ هَذِهِ
 الْآيَةِ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾.
 وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ النِّجْمِ: ﴿فَاعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩].

(١) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (١٧٩/٢) غير منسوب، ونسبه الماوردي في أدب الدنيا
 والدين (ص: ١٦٦) لعدي بن زيد، والبيت الأول في ديوان طرفة (ص: ٣٢).
 (٢) أخرجه أحمد (٣٠٣/٢)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم (٤٨٣٣)،
 والترمذي: كتاب الزهد، رقم (٢٣٧٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 (٣) البيتان لابن ليون، انظر: نفع الطيب للمقري التلمساني (٥/٥٥٣ - ٥٥٤).

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم
لا يستون كما لا تستوي الشجر
هذا له طعم حلو مذاقته
وذلك ليس له طعم ولا ثمر^(١)

فاجعل حُبك لله، واحرض على حُسن الاختيار.

الضابط الثالث: إذا أَحَبَّ فتوسَّط في حُبِّك ولا تُبالِغ فيه، خاصةً في مثل هذه الأزمنة، فإن القاعدة تقول: تَوَسَّط في حُبِّك. وهذه قاعدة رَبابية، قالها أمير المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»^(٢). فإذا أَحَبَّت فلا تَتَفَتَّحْ بهذا الحُبِّ على مِصْرَاعِيهِ، ولا تَفْتَحْ صُنْدُوقَ أَسْرَارِكَ كُلِّهَا، فَقَدْ تَنَدَّمْ.

وَأَحِبِّ إِذَا أَحَبَّتَ حُبًّا مُقَارِبًا
وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيْرَ مُبَايِنٍ
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَارِعُ
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ^(٣)

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (١٧٢/٢)، غير منسوب، ونسبه الثعالبي في لباب الآداب (ص: ١٨١) للمؤمل بن أميل.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (٣٧٠٢٦)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (١٣٢١). وأخرجه الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض، رقم (١٩٩٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مرفوعا، وقال: «والصحيح عن علي موقوف قوله».

(٣) اختلف في قائلها؛ فنسبها القالي في الأمالي (٢/٢٠٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧١/٧٣)، والبصري في الحماسة البصرية (٢/٦٧) إلى هذبة بن الخشرم العذري. ونسبها الرافعي في التدوين في أخبار قزوين (٣/٣٠) إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ونسبها الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص: ١٧٧) إلى أبي الأسود الدؤلي. ونسبها أبو الطيب الوشاء في الموشى (ص: ٣٣) للمقع الكندي.

الضابطُ الرابعُ: لا تُكثِرُ عتابَ مَنْ تُحِبُّ، فإذا صاحبتَ صاحبًا لا تُكثِرُ عتابه، أو أسستَ لعلاقة حبٍّ مع أخيك فلانٍ، فلا تُكثِرُ عتابه، فلا تقلُّ له مثلًا: سافرت ولم تُخبرني، أو أقمتَ وليمةً ولم تدعني، أو ماذا تقصدُ بقولك كذا، أو بفعلك كذا.

فالعامةُ يقولون: مَنْ تَشَرَّه تَكَرَّه، فالناسُ لا يُحِبُّونَ مَنْ يُكثِرُ العتابَ، وقد جاء في «صحيح مسلم» أن أنسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ - وفي رواية: عَشْرَ سِنِينَ - مَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: لَمْ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ ^(١).

وقال الخليفةُ الراشدُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا تُكثِرِ العتابَ، فإنَّ العتابَ يُورثُ الضغينةَ، والبغضاءَ، وكثرته من سوء الأدب ^(٢). وانظرُ إلى الَّذي يُكثِرُ مِنَ العتابِ فإنَّكَ لا تجدُ له صاحبًا، بل يعيشُ وحيدًا، كما قال الأوَّلُ:

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ ^(٣)

فالَّذي يُكثِرُ العتابَ يَبْحَثُ عَنِ الزَّلَّاتِ وَالْعَثَرَاتِ، وَقَدْ وَصَفَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا الصَّنْفَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ: «يُبْصِرُ أَحَدَكُمْ الْقَدَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَيَنْسَى

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، رقم (٢٣٠٩).

(٢) أخرجه ابن حبان في روضة العقلاء (ص: ١٨٢).

(٣) البيتان لبشار بن برد، انظر: ديوانه (٣٢٦/١) بشرح الطاهر بن عاشور.

الجدع في عين نفسه^(١). فهو يبحث عن الزلة حتى لو كانت صغيرة، وعن الخطأ حتى لو كان متناهياً في الصغر، وينسى الجذع في عين نفسه.

الضابط الخامس: إذا أحببت أخاك في الله صادقاً، فأخبره أنك تحبه، اذهب إليه، وقل له: إني أحبك في الله؛ فإن ثمره هذا الإخبار؛ بقاء الألفة، ودوام المودة.

فقد جاء في «مسند الإمام أحمد»، من حديث أبي ذرٍّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن رسول الله **ﷺ** قال: **«إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ، فَلْيَأْتِهِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ اللَّهُ»**^(٢).

وجاءت الثمرة في الحديث الآخر؛ حيث قال رسول الله **ﷺ**: **«إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فِي اللَّهِ، فَلْيُعَلِّمَهُ، فَإِنَّهُ أَبْقَى فِي الْأَلْفَةِ، وَأَنْبَتُ فِي الْمَوَدَّةِ»**^(٣).

والرسول **ﷺ** لا ينطق عن الهوى، فأخبر من تحب أنك تحبه في الله، تبقى الألفة، وتدم المودة.

هذه ضوابط خمس، وهي ضوابط شرعية، جاء بها الوحي، ونطق بها الرسول الكريم **ﷺ**، من أخذها رشد، ومن تجنبها فلا يلومن إلا نفسه.



(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/٧٠، رقم ٢١٢)، وابن حبان في صحيحه رقم (٥٧٦١)، والبيهقي في الشعب رقم (٦٣٣٧)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وأخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٥٩٢)، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، موقوفاً.

(٢) أخرجه أحمد (٥/١٤٥).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخوان رقم (٦٩)، عن مجاهد مرسلًا.



(٧)

أحكام النية



للنية في ديننا شأنٌ عظيمٌ، فيها تتعلّق الأحكامُ، وتُميّزُ الطاعاتُ، قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ** في كتابه «إعلام الموقعين»: «فأما النيةُ فهي رأسُ الأمرِ وعمودُه، وأساسُه، وأصلُه الَّذي عليه يُبنى، فإنّها روحُ العملِ، وقائدهُ، وسائقُه، والعملُ تابعٌ لها يُبنى عليها، يصحُّ بصحتها، ويفسدُ بفسادها، وبها يُستجلبُ التوفيقُ، وبعدمها يحصلُ الخذلانُ، وبحسبها تتفاوتُ الدرجاتُ في الدنيا والآخرة»^(١).

والنيةُ هي القصدُ، والعزمُ، وهي التي تُميّزُ العباداتِ بعضها عن بعضٍ، وهي التي تُميّزُ المقصودَ بالعبادة؛ قال اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾** [البينة: ٥].

وقال سُفيانُ **رَحِمَهُ اللهُ**: كانَ الفقهاءُ يقولونَ: لا يَسْتَقِيمُ قولٌ إِلَّا بعملٍ، ولا يَسْتَقِيمُ قولٌ وعملٌ إِلَّا بنيةٍ، ولا يَسْتَقِيمُ قولٌ وعملٌ ونيةٌ إِلَّا بموافقةٍ للسُّنةِ^(٢).
وقال جعفرُ بنُ حيانَ **رَحِمَهُ اللهُ**: ملائِكُ هذه الأعمالِ النِّيَّاتُ، فإنَّ الرجلَ يَبْلُغُ بنيةً ما لا يَبْلُغُ بعمله^(٣).

(١) إعلام الموقعين (٤/١٥٢).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة رقم (١٩٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/٣٢).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/٦٣)، رقم (١٨٩).

وكذا قال ثابتُ البُناني **رَحِمَهُ اللهُ**، حينما قال: نيةُ المرءِ أبلغُ من عمله ^(١).
والعاقلُ هو الَّذي يَسْتفيدُ من هذه العبادةِ العظيمةِ، وهي إصلاحُ النيةِ
والسريرةِ، وأن يَنويَ الخيرَ في كلِّ أحواله.

فقد جاءَ عندَ البخاريِّ في حديثِ أنسٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أن النَّبيَّ **ﷺ** قال - وهو عائدٌ
من غزوةِ تبوكَ، حينما اقتربَ من بيوتاتِ المدينةِ -: **«إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا»** أي: لم يذهبوا
معنا في الغزوِ، ولم يسيروا معنا، ولم يتعرَّضوا للأمرِ الَّذي تعرَّضنا له في غزوةِ **«مَا
سَرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَاذِيًا، إِلَّا كَأَنوَا مَعَكُمْ»**، وفي «صحيحِ مُسلمٍ» بزيادةٍ: **«إِلَّا
شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ»** ^(٢). قال الصحابةُ الَّذينَ مع النَّبيِّ **ﷺ**: يا رسولَ اللهِ وهم
بالمدينةِ! قال: **«وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ»** ^(٣).

فقد كانت نواياهم صادقةً في فعلِ الخيرِ، مثلهم مثلُ الَّذي أخبرَ عنه النَّبيُّ
ﷺ كما جاءَ في «صحيحِ مُسلمٍ»، قال: **«مَنْ سَأَلَ اللهُ الشُّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ
مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»** ^(٤).

فالعبرةُ بهذه النيةِ، والعاقلُ الراشدُ من استفادَ من هذا الأمرِ العظيمِ، أن

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٢٦/٢). وأخرجه أبو الشيخ في الأمثال رقم (٥٢)، عن ثابت
البناني بلاغا، مرفوعا.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر، رقم (١٩١١)،
من حديث جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، رقم (٤٤٢٣)، من حديث أنس **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم (١٩٠٩)،
من حديث سهل بن حنيف **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

يجعل بوصلة نيته نحو الخير والصلاح، فقد جاء في «سُنن ابن ماجه» من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ، وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ فَيُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ»^(١).

يُكْتَبُ لَهُ فِي صَحِيفَةِ عَمَلِهِ أَجْرُ مَا نَوَى، وَهُوَ نَائِمٌ قَرِيرُ الْعَيْنِ عَلَى فِرَاشِهِ، إِنَّ النِّيَّةَ تَبْلُغُ بِالرَّجْلِ أَكْثَرَ مِمَّا يَبْلُغُ بِهِ عَمَلُهُ.

قال عبد الله ابن الإمام أحمد رَحِمَهُمُ اللَّهُ: يا أبتِ أَوْصِنِي -وَلَكَ بَوْصِيَّةٌ عَالِمٍ كَالِإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَوَصِيَّتُهُ لِابْنِهِ كَيْفَ يَنْصَحُ لَهُ- قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: يا بُنِي، انْوِ الْخَيْرَ، فَإِنَّكَ لَا تَرَأَى بِخَيْرٍ مَا نَوَيْتَ الْخَيْرَ^(٢). أي: اجعل في نيتك أن تفعل الخير؛ أن تُصَلِّيَ الضَحَى، أو أن تَحُجَّ هذا العام، أو أن تُصَدِّقَ عَلَى مِسْكِينٍ، أو أن تُحْفَظَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، هَذِهِ نَيْتُكَ.

ولابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «صيد الخاطر» كلامٌ في غاية الجمال والإحكام، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ، فَاحَ عَبِيرٌ فَضْلِهِ، وَعَبَقَتِ الْقُلُوبُ بِنَشْرِ طَيْبِهِ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي السَّرَائِرِ، فَإِنَّهُ مَا يَنْفَعُ مَعَ فَسَادِهَا صَلاَحٌ ظَاهِرٌ^(٣).

وَكَمَا سَبَقَ فَإِنَّ لِلنِّيَّةِ أَحْكَامًا عَظِيمَةً وَكَثِيرَةً، أَوْجِزُهَا فِي ثَلَاثٍ:

الأوَّلُ: لَكَ ثَوَابٌ مَا نَوَيْتَ، وَإِنْ لَمْ تُصِبِ الْمَرَادَ الْمَطْلُوبَ، أَوْ أَخْطَأْتَ فِي

(١) أخرجه النسائي: كتاب قيام الليل، باب من أتى فراشه وهو ينوي القيام، رقم (١٧٨٧)، وابن

ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن نام عن حزبه من الليل، رقم (١٣٤٤).

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص: ٢٧٤)، والآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ١٠٤).

(٣) صيد الخاطر (ص: ٢٢٠).

عملك، فقد جاء في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية» فلم يتميز له هذه زانية ولا غيرها لأنه خرج بالليل، وهو حريص على أن يكون عمله في الخفاء، بعيد عن الرياء، واختار الليل، وضع صدقته فإذا هي في يد زانية.

«فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على زانية»، وهو لا يدري «قال: اللهم لك الحمد، على زانية! لأتصدقن بصدقة» فلما جاء الليل «خرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على غني». قال: اللهم لك الحمد، على غني! لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على سارق. فقال: اللهم لك الحمد على زانية، وعلى غني، وعلى سارق. أي: في المنام «ف قيل له: أما صدقتك فقد قبلت» هذا هو الشاهد «أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق بما أعطاه الله، وأما السارق فلعله يستعف بها عن سرقة». (١).

الثاني: لك الإعانة والسداد والتوفيق والحفظ، بقدر ما معك من نية، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما يُحفظ الرجل على قدر نيته (٢).

وهذا سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، يكتب كتاباً إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وفيه: اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر نيته، فمن خلصت نيته تم

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب إذا تصدق على غني وهو لا يعلم، رقم (١٤٢١)، ومسلم:

كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها، رقم (١٠٢٢).

(٢) الأذكار للنووي (ص: ٧).

عونُ اللهِ له، ومَنْ نَقَصَتْ نِيَّتَهُ نَقَصَ عَنْهُ مِنْ عَوْنِ اللَّهِ بِقَدْرِ ذَلِكَ^(١).

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾** [النساء: ٣٥]. أي: إذا كانت هذه نية الحكمين ونية المتخاصمين يحصل لهما التوفيق.

وجاء في «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** قَالَ: **«مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ»** أي: أخذ ديناً **«يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَى اللَّهِ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا، أَتْلَفَهُ اللَّهُ»**^(٢).

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّيُّ قُلُوبًا لَمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾** [الأنفال: ٧٠].

وقال سبحانه في سورة الفتح: **﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾** [الفتح: ١٨].

فقط وجه بوسلة نيتك لله، واجعلها خالصة، وانو الخير فلك السداد والإعانة والتوفيق والحفظ.

الثالث: انو الخير حتى في عاداتك، فلك ما نويت حتى في عاداتك إذا احتسبت لها، واحتسبت الأجر فيها من الله.

جاء في كتاب «الأدب المفرد» للبخاري، من حديث أبي مسعود البدري

(١) أخرجه أحمد في الزهد رقم (١٧٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (٥/٢٨٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب في الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس، رقم (٢٣٨٧).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»^(١).

فَبِذَلِكَ عَلَى أَهْلِكَ، وَإِنْفَاقُكَ عَلَى أَوْلَادِكَ، وَسَعْيُكَ عَلَيْهِمْ، إِذَا احْتَسَبْتَهُ فَلَكَ الْأَجْرُ.

وَجَاءَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي «مُعْجَمِهِ» مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ وَالصَّحَابَةُ مَعَهُ، فَمَرَّ بِهِمْ شَابٌّ جَلْدٌ نَشِيطٌ، فَقَالَ الصَّحَابَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ كَانَ هَذَا النِّشَاطُ وَالْجِدَّةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَكَانَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْحُحُ الْمَفْهُومَ، وَيُرْشِدُ الْأُمَّةَ: «إِنْ كَانَ» هَذَا وَأَمْثَالُهُ «خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صَغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعْفُهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»^(٢).

وَالَّذِي يُجَدِّدُ ذَلِكَ كُلَّهُ هَذِهِ النِّيَّةُ، فَاجْعَلْهَا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَاحْتَسِبِ الْأَجْرَ فِي كُلِّ خَطْوَةٍ تَخْطُوهَا، وَفِي كُلِّ كَلِمَةٍ تَتَفَوَّهُ بِهَا، وَفِي كُلِّ عَمَلٍ تُقَدِّمُ عَلَيْهِ، وَأَنْتَ الرَّاشِدُ الرَّابِعُ الْمَوْفَّقُ.



(١) الأدب المفرد رقم (٧٤٩). وأخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، رقم (٥٥)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين، رقم (١٠٠٢).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٩/١٩، رقم ٢٨٢)، وفي الأوسط رقم (٦٨٣٥).



(٨)

لا تَغْضَبُ



الغضبُ شُعْلَةٌ نارٌ تَتَوَقَّدُ فِي الْقُلُوبِ، وَسَحَابَةٌ دُخَانٍ تَعْلُو فَتَحْجُبُ النِّظْرَ،
وَتُغْطِي الْعَقْلَ، فَكَمْ وَكَمْ مِنَ الْأَجْوَرِ وَالْحَسَنَاتِ فَاتَّتْنَا بِسَبَبِ الْغَضَبِ! وَكَمْ وَقَعْنَا
فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ بِسَبَبِ الْغَضَبِ! وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِسَبَبِ
الْغَضَبِ! وَكَمْ مِنْ رَحِمٍ هُجِرَتْ! وَكَمْ عَلاَقَةٍ وَدٌّ قُطِعَتْ بِسَبَبِ الْغَضَبِ! وَكَمْ حَالَةٍ
طَلاَقٍ وَقَعَتْ بِسَبَبِ الْغَضَبِ! وَكَمْ نَفْسٍ أُرْهَقَتْ بِسَبَبِ الْغَضَبِ! وَكَمْ مِنْ مَحْزُونٍ
مُتَحَسِّرٍ مُتَأَلِّمٍ الْآنَ يَتَّبِعُ فِي السَّجُونِ بِسَبَبِ الْغَضَبِ؛ لَذَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: أَوْلُ
الْغَضَبِ جُنُونٌ، وَآخِرُهُ نَدْمٌ^(١).

وَجَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: جَاءَ رَجُلٌ يَقُودُ آخَرَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا قَتَلَ أَخِي. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْتَلْتَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ
قَتَلْتَهُ. قَالَ: «كَيْفَ قَتَلْتَهُ؟» قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَهُوَ نَحْتَبِطُ مِنْ شَجَرَةٍ - وَكَانَتْ عَادَةً
الرُّعَاةِ يَجْبُطُونَ وَرَقَ الشَّجَرِ، فَيَتَسَاقَطُ وَرَقُ الشَّجَرِ عَلْفًا لِدَوَابِّهِمْ - فَسَبَّيْنِي،

(١) ذكره ابن الجوزي في كشف المشكل (٣/٥٤٠). وذكره الدميري في حياة الحيوان الكبرى (٢/٥٦)، من وصية لقمان لابنه.

فَأَغْضَبَنِي، فَضَرَبْتُهُ بِالْفَأْسِ عَلَى قَرْنِهِ، فَكَتَلْتُهُ^(١).

فالغضبُ يُعْمِي البصرَ، وَيُغْطِي العَقْلَ، فَتَأْتِي قَرَارَاتُ الْإِنْسَانِ الْغَاضِبِ مُعْوجَةً، غَيْرَ صَائِغَةٍ؛ لِذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يَحْكُمُ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضَبَانٌ»^(٢). فَإِنَّ الْحُكْمَ يَكُونُ مُعْوجًّا غَيْرَ صَائِغٍ.

وَإِلَيْكَ خَمْسُ وَصَايَا جَاءَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، مَنْ أَخَذَ بِهَا فِي حَالِ الْغَضَبِ، وَوَقَّقَ وَكَانَ فِي مَأْمِنٍ مِنْ عَاقِبَةِ الْغَضَبِ:
الْوَصِيَّةُ الْأُولَى: بِقَدْرِ طَاقَتِكَ اجْتَنِبْ مَوَاقِعَ الْغَضَبِ، وَأَمَاكِنَهُ، وَدَوَاعِيَهُ، وَأَسْبَابَهُ، فَأَيُّ مَكَانٍ وَأَيُّ حَالٍ يُحْرِكُ عِنْدَكَ حَالَةَ الْغَضَبِ اجْتَنِبْهُ ابْتِدَاءً.

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَعِيشُ بِهِنَّ وَلَا تُكْثِرُ عَلَيَّ فَأَنْسَى. قَالَ: «اجْتَنِبِ الْغَضَبَ». فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ فَقَالَ ﷺ: «اجْتَنِبِ الْغَضَبَ»^(٣).

هَذَا هُوَ الْحُلُّ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعِيشَ آمِنًا مَطْمَئِنًّا، فِي حَالَةٍ مِنَ الْإِسْتِقْرَارِ وَالْإِطْمِئْنَانِ، فَلْيَتَجَنَّبْ رَأْسَ الْأَدْوَاءِ، وَرَأْسَ الْبَلَايَا، وَرَأْسَ الْمَصَائِبِ، وَأَبَا النَّدَامَاتِ، وَهُوَ الْغَضَبُ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب القسامة، باب صحة الإقرار بالقتل، رقم (١٦٨٠)، من حديث وائل بن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، رقم (٧١٥٨)، ومسلم: كتاب الأفضية، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان، رقم (١٧١٧).

(٣) أخرجه أحمد (٤٠٨/٥)، من حديث حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

الوصية الثانية: إذا اضطررت أن تغضب، فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أي: ألتجأ وأعتصم وأستعين بالله من وساوس الشيطان ونزغاته وإغوائه وإضلاله. أيًا كان هذا الأمر الذي أغضبت منه، صغيرًا كان أو كبيرًا.

فقد جاء في «صحيح البخاري»: استب رجلاً من عند النبي ﷺ، وعلت أصواتها، واحمرت وجوهها، وانتفخت أوداجها، في حالة شديدة من الغضب، فقال ﷺ في شأن أحدهما: «إني لأعلم كلمة، لو قالها ذهب عنه ما يجد». وهذا لم يقله النبي ﷺ من تلقاء نفسه، بناءً على الخبرة والاستقراء وسير أحوال الناس، بل قاله وحياً: «لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ذهب عنه ما يجد»^(١).

الوصية الثالثة: عليك بالسكون، قال رسول الله ﷺ - والحديث عند أبي داود في سننه من حديث أبي ذرٍّ رضى الله عنه -: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»^(٢)؛ لأن القائم أكثر حدة وإنفاذاً بيده وبحركته، بخلاف الجالس أو المضطجع.

هذه وصية نبي ﷺ قال عنه ربه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم (٦١١٥)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم (٢٦١٠)، من حديث سليمان بن صرد رضى الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٢/٥)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، رقم (٤٧٨٢).

الوصية الرابعة: أن تسكت، ولا تتكلم، وهذا سُكُونٌ بعده سُكُوتٌ، فقد قال رسول الله ﷺ: «وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ»^(١).

فلا يتكلم، ولا يردُّ الكلمة بكلمتين، ويقول كما يقول بعض الناس: إن قلت كلمة، رددت عليك عشرًا؛ لأنَّ هذا ليس معيار القوة والشجاعة، بل القوة والشجاعة أن تملك نفسك في هذا الوطن، وفي هذا الموقف.
وفي ديوان الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ، يقول:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ
فَإِنْ كَلَّمْتَهُ فَارْجِعْ عَنْهُ وَإِنْ خَلَيْتَهُ كَمَا دَا يَمُوتُ^(٢)

الوصية الخامسة: استحضِرْ أَجْرَ مَنْ كَظَمَ غِيظَهُ، وَهُوَ الْجَنَّةُ، وَهَلْ هُنَاكَ أَعْظَمُ مِنَ الْجَنَّةِ!؟

قال الله سُُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

جاء في «الأدب المفرد» للإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ، أنَّ أبا الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ، وَلَكَ الْجَنَّةُ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (١/٢٣٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) ديوان الشافعي (ص: ٣٩). وانظر: الصمت لابن أبي الدنيا رقم (٧١٠)، وروضة العقلاء لابن حبان (ص: ١٤٠)، والأمثال للرامهرمزي (ص: ٩٩).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٢٣٥٣)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فليستحضر الإنسان هذا الأجر العظيم أنه في يوم القيامة سيكون مع المكرمين المتميزين.

فقد جاء عند ابن ماجه في «سننه» أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ» قادرٌ على أن يُنفذَ غيظَه على ولده، على زوجته، على جاره، على خادمه، ولكنه كظَمَ غيظَه «دَعَاهُ اللهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُخَيَّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»^(١).

وهذا تكريمٌ وتمييزٌ، لا يناله إلا من أخذ بهذه الوصية: كظَمَ غيظَه فلم يَغْضَبْ، وما أحوَجنا إلى أن نكون حاكِمينَ على حالة الغضبِ، لا محكومينَ إليها، مأسورينَ لفلتاتها!.



(١) أخرجه أحمد (٣/٤٤٠)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من كظم غيظًا، رقم (٤٧٧٧)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب الحلم، رقم (٤١٨٦)، من حديث معاذ بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



(٩)

الحياءُ مِنَ الإِيْمَانِ



الحياءُ خُلِقَ الأَتْقِيَاءِ، يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ الأَتْصَافِ بالأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ، والأَفْعَالِ القَبِيحَةِ، وَهُوَ قَاعِدَةُ الأَخْلَاقِ، وَمُنْطَلَقُ كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَمَا أَحْوَجَ الأُمَّةَ اليَوْمَ إلى تَعزِيزِ ونَشْرِ ثِقَافَةِ الحَيَاءِ فِي جَمِيعِ صُورِهِ، وَفِي جَمِيعِ المِيادِينِ، فَقَدْ تَدَاعَى أَهْلُ الزَّيْغِ وَالفَسَادِ، وَاتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى نَحْرِ الفُضِيلَةِ، وَوَأَدَهَا فِي مَهْدِهَا.

إِذَا قَلَّ مَاءُ الوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَلَا خَيْرَ فِي وَجْهِ إِذَا قَلَّ مَأْوُهُ
حَيَاؤُكَ فَاحْفَظْهُ عَلَيكَ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى فِعْلِ الكَرِيمِ حَيَاؤُهُ^(١)

قَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ: خَمْسٌ مِنَ عِلَامَاتِ الشَّقْوَةِ: القَسْوَةُ فِي القَلْبِ، وَجُمُودُ العَيْنِ، وَقِلَّةُ الحَيَاءِ، وَالتَطَلُّعُ إِلَى الدُّنْيَا، وَطَوَّلُ الأَمَلِ^(٢).
وَقَدْ رَبَّبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى هَذَا الخَلْقِ فِضَائِلَ وَثِمَارًا كَثِيرَةً، يَحْتُ هَذِهِ النَفُوسَ أَنْ تَتَخَلَّقَ بِهَذَا الخَلْقِ الكَرِيمِ، الَّذِي بَدَأَ يَقِلُّ وَيَنْحَصِرُ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا.
وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى كَبِيرِ جَهْدٍ لِتَسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ، فَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ أَنْ تَنْظُرَ فِي نَفْسِكَ

(١) ذكره المبرد في الفاضل (ص: ٤٣)، غير منسوب، ونسبه الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص:

٢٤٧) لصالح بن عبد القدوس.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٩).

وفي الدوائر التي حولك، ستجد هذا الكلام بيننا واضحًا، أن خلق الحياء بدأ ينحصر، ليس كما كان، منذ أن جاءت أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي عند النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تسمعه يقول عن لبس الرجال ولبس النساء، فقال عن لبس النساء: **«يُرْخِيْنَهُ شِبْرًا»** يُرشدُ النساءَ إلى أنهنَّ يُرْخِيْنَ ثِيَابَهُنَّ شِبْرًا، فقالت أم سلمة بلسان العفيفة: **«إِذَا تَنَكَّشَفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «إِذَا: يُرْخِيْنَهُ ذِرَاعًا»^(١).**

فأين وصلنا اليوم؟! وإلى أي حد شمر ثياب النساء؟! وغيرها من الصور؛ لذا وضع لنا ربنا **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** حوافز وثمارًا للتخلق بخلق الحياء.

الفضيلة الأولى: أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يحبُّ هذا الخلق، ويحبُّ أهله، فقد جاء في «سنن أبي داود» من حديث يعلى بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَبِيْبٌ سَتِيْرٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ»^(٢)**، والستر من الحياء. وفي «سنن ابن ماجه» من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال **لِلْأَشْجِ الْعَصْرِيِّ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمَ، وَالْحَيَاءَ»^(٣).** فهذا خلق يحبه الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

وقال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كتابه «الجواب الكافي»: فإنه سبحانه رحيم يحبُّ

(١) أخرجه الترمذي: كتاب اللباس، باب ما جاء في جر ذيول النساء، رقم (١٧٣١)، والنسائي:

كتاب الزينة، باب ذيول النساء، رقم (٥٣٣٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (٤/٢٢٤)، وأبو داود: كتاب الحمام، باب النهي عن التعري، رقم (٤٠١٢)،

والنسائي: كتاب الغسل، باب الاستتار عند الاغتسال، رقم (٤٠٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب الحلم، رقم (٤١٨٨).

الرَّحَمَاءُ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ، عَلِيمٌ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ، قَوِيٌّ يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْقَوِيَّ، وَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، حَيِّيٌّ يُحِبُّ أَهْلَ الْحَيَاءِ، جَمِيلٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْجَمَالِ، وَتُرُّ يُحِبُّ أَهْلَ الْوَتْرِ^(١).

فَاللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يُحِبُّ الْحَيِّيَّ، وَالْحَيَاءُ لَيْسَ عَيْبًا، وَلَيْسَ هُوَ الْخَجَلُ، وَلَا تَخْتَلِطُ عَلَيْنَا الْأُمُورُ، فَالْحَيَاءُ مَحْمُودٌ، وَالْخَجَلُ الَّذِي يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ الْمَرْوَةِ وَالتَّقَدُّمِ مَذْمُومٌ.

الْفَضِيلَةُ الثَّانِيَةُ: الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيْمَانِ، فَقَدْ جَاءَ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ فِي «شُعَبِ الْإِيْمَانِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** قَالَ: **«إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْإِيْمَانَ قُرْنَانَا جَمِيعًا، فَإِذَا اِرْتَفَعَ أَحَدُهُمَا اِرْتَفَعَ الْآخَرُ»**^(٢).

فَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ قَلَّ إِيْمَانُهُ، وَعَلَى قَدْرِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْحَيَاءِ، فَهُوَ مِقْيَاسٌ عَلَى قَدْرِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْإِيْمَانِ.

وَجَاءَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ - أَيْ: يَلُومُهُ عَلَى الْحَيَاءِ، وَيَقُولُ لَهُ: أَقْصِرْ عَنِ الْحَيَاءِ، كَمَا يَقُولُ بَعْضُهُم الْيَوْمَ: الَّذِي يَسْتَحْيِي لَا يَعِيشُ. أَوْ الَّذِي لَا يَسْتَحْيِي يَأْخُذُ حَقَّهُ. وَهَذِهِ الْعِبَارَاتُ خَطَأٌ؛ فَقَدْ قَالَ **ﷺ**: **«دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيْمَانِ»**^(٣).

(١) الجواب الكافي (ص: ٦٧).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٢٢)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٩٧)، والبيهقي في الشعب رقم (٧٣٣١).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيْمَانِ، باب الحياء من الإيْمَانِ، رقم (٢٤)، ومسلم: كتاب الإيْمَانِ، باب بيان عدد شعب الإيْمَانِ وأفضلها وأدناها، رقم (٣٦).

وفي «سُنن النسائي» من حديث أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١).

الفضيلة الثالثة: الحياءُ دينٌ، فحينما يتخلَّق العبدُ بالحياءِ، فإنه يتقربُ إلى الله بعبادةٍ عظيمةٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»^(٢). فالخلقُ المميزُ في ديننا هو الحياءُ.

وجلسَ إياسُ بنُ معاويةَ بنِ قرةَ عندَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رَحِمَهُ اللهُ، فبدؤوا يتذكرونَ خلقَ الحياءِ، فقالوا: الحياءُ مِنَ الدِّينِ. فقالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ^(٣).

والحياءُ مادةُ الحياةِ، فإننا نحتاجُه في نفوسنا، وفي بيوتنا، وطرقنا، ونحتاجُه في أعمالنا، وفي تعاملنا، وفي أخذنا وعطائنا.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^(٤).
وقالَ ﷺ أيضًا: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ»^(٥).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم (٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، رقم (٥٠٠٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب، باب، رقم (٤١٨١، ٤١٨٢)، من حديث أنس وابن عباس

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/١٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/١٩٤).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الحياء، رقم (٦١١٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان

عدد شعب الإيمان، رقم (٣٧/٦٠)، من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٥) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، رقم (٣٧/٦١)، من حديث عمران بن

حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

والحياءُ زينةٌ، كما أخبرَ رسولُ الله ﷺ، فقد قال: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ، وَلَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ»^(١).

وجاءَ عندَ أحمدَ في «مُسْنَدِهِ» والترمذي، وغيرُهما، من حديثِ ابنِ مسعودٍ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ وهوَ يُخاطِبُ الجِيلَ الأوَّلَ -والخطابُ لَنَا ولِلأُمَّةِ-: «اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ -لم يَقولوا: نَسْتَحْيِي حَقَّ الْحَيَاءِ، اعْتِرَافًا مِنْهُمْ بالتقصيرِ- قالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلِتَذْكَرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»^(٢).

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ^(٣)

وللسلفِ كلمةٌ في هذا المقام، فقد قالَ عُمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ ورعُهُ، وَمَنْ قَلَّ ورعُهُ ماتَ قلبُهُ^(٤).

(١) أخرجه أحمد (٣/١٦٥)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش، رقم (١٩٧٤)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب الحياء، رقم (٤١٨٥)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١/٣٨٧)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٥٨).

(٣) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (٤/٢٩٧).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الحلم رقم (١٢٦)، والطبراني في المعجم الأوسط رقم (٢٢٥٩)، والبيهقي في الشعب رقم (٤٦٤٠).

وهذا إرشادٌ عظيمٌ لهؤلاء الذين أطلقوا لألسنتهم العنان، يتحدثون في كلِّ شأنٍ يخصُّهم أو لا يخصُّهم، يعينهم أو لا يعينهم، يتحدثون ليلَ نهارٍ، يعدُّه عمرُ الفاروقِ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** من قلةِ الحياءِ.

قال الحسنُ **رَحِمَهُ اللهُ**: أربعٌ من كنَّ فيه كانَ كاملاً، ومن تعلقَ بواحدةٍ منهنَّ كانَ من صالحِ قومه: دينٌ يُرشدُه، وعقلٌ يُسدُّه، ونسبٌ يصونُه، وحياءٌ يقوده^(١).
فالحياءُ يقودُ صاحبه إلى كلِّ خيرٍ، فعلياً أن نُعزِّزَ ثقافةَ ونشرَ هذهِ الخصلةِ الحميدةِ، وهذا الخلقُ المحمودُ -خلقُ الحياءِ- ولنبدأ بهِ في أنفسنا، وفي أقربِ الدوائرِ إلينا، سائلينَ المولى **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، أن يُخلِّقنا بزينةِ الأخلاقِ.



(١) آداب الحسن البصري لابن الجوزي (ص: ٤٨)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٢/٢٢٧).



(١٠)

مهلاً يا أعداء السنة



إن عقيدة أهل السنة والجماعة قائمة على تعظيم أحاديث رسول الله ﷺ، والاعتقاد بأنها والقرآن مصدران للتشريع والحجة والاستدلال، وأنها لا ينفكان عن بعضهما، وأن حاجة المسلم إلى ما صحَّ من حديث رسول الله ﷺ كحاجته للماء والهواء، بل هو أشدُّ، فلا يمكن أن يتعرَّف المسلم أمر دينه إلا عن طريقها، ولا يمكن أن يستقيم حاله إلا بها.

قال الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

وقد بعث الله رسوله ﷺ، وامتَنَّ على عباده بهذه البعثة، فبعثه ﷺ فضل من الله وكرم ومنه، كيف لا والحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]!

نعم، كان الناس قبل بعثة النبي ﷺ في ضلالٍ مُبينٍ؛ ضلالٍ الشرك، وضلالٍ الأوثان، وضلالٍ الأصنام، فلما جاءت بعثته ﷺ، وجاء هديته جاء التوحيد

والنور، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿رَسُولًا يَنْتَلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: ١١]. أَي: مِنْ ظُلُمَاتِ الشَّرِكِ إِلَى نَوْرِ التَّوْحِيدِ.

ولا يُمكنُ أَنْ يَعْرِفَ الْمُسْلِمُ تَفَاصِيلَ الدِّينِ وَالشَّرْعِ الْحَكِيمِ إِلَّا مِنْ خِلَالِ مَا صَحَّ مِنْ أَحَادِيثِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ.

كَيْفَ لَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]!

وَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَأْنِ الصَّلَاةِ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعَلَّمَنَا مِنْ خِلَالِ مَا صَحَّ مِنْ حَدِيثِهِ كَيْفَ نُصَلِّي، وَمَتَى نُصَلِّي، وَمَاذَا نَقُولُ فِي قِيَامِنَا، وَفِي قُعُودِنَا، وَفِي سُجُودِنَا وَرُكُوعِنَا. وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالزَّكَاةِ، فَقَالَ: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعَلَّمَنَا كَيْفَ نُزَكِّي، وَمَتَى نُزَكِّي.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَلَّمَنَا كَيْفَ نَحُجُّ، وَمَتَى نَحُجُّ، وَمَاذَا نَقُولُ فِي طَوَافِنَا، وَكَمْ نَطُوفُ، وَمِنْ أَيِّ جَبَلٍ نَبْتَدِئُ فِي السَّعْيِ، وَعِنْدَ أَيِّ جَبَلٍ نَنْتَهِي.

وَهَكَذَا أَجْمَلَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَالَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ولا يُمكنُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً سَلِيمَةً إِلَّا بِالِاسْتِجَابَةِ لِأَمْرِ اللهِ، وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ، فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا

أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤]. أي: لما يُصْلِحُ شأنكم، وتستقيم به حياتكم.

ولقد أمر رسول الله ﷺ، بالاجتهاد في تبليغ هديه ورسالته وما صحَّ من حديثه، فقال كما جاء في «صحيح البخاري» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١).

وجاء في «سنن أبي داود» من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِيهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ»^(٢).

وبين الفينة والفينة تخرج نابتة مواترة، تردُّ حديث رسول الله ﷺ، ولا تقبلُ به، ويقولون: بيننا وبينكم القرآن، نحن لا نحتكم إلا إلى القرآن.

فقول لهم: سبحان الله! لو أخذتم بالقرآن، لوجدتم فيه ما يأمركم بالتباعد السنّة، والأخذ بها ورد عن صاحب السنّة ﷺ.

وقال رسول الله ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانٌ مُتَكَبِّرٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٤٦١).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٣/٥)، وأبو داود: كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، رقم (٣٦٦٠)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم (٢٦٥٦)، وابن ماجه: مقدمة السنن، باب من بلغ علما، رقم (٢٣٠).

(٣) أخرجه أحمد (١٣١/٤)، وأبو داود: كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة، رقم (٤٦٠٤)، من حديث المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه.

وزاد في رواية ابن ماجه: **«أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ»** (١). وجاء في «صحيح البخاري» أن امرأة من بني أسد، يُقال لها: أُمُّ يَعْقُوبَ، جاءت إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقالت: يا ابن مسعود، بلغني أنك تلعن النامصات والمتمصصات، والواشحات، والمتفلجات، من أين لك هذا؟ قال ابن مسعود: وما لي ألعن من لعن رسول الله ﷺ، ومن هو في كتاب الله؟! قالت هذه المرأة: إني قرأت كتاب الله ما بين اللوحين ما وجدت فيه ما تقول. قال: لئن قرأته فقد وجدته، أما قرأت في كتاب الله: **﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾** [الحشر: ٧]؟ قالت: بلى. قال: فإنه قد نهي (٢).

هكذا نظروا إلى القرآن، وهكذا نظروا إلى سنة النبي ﷺ، الذي أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه بالأخذ بها، فقال سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾** [الأحزاب: ٣٦].

وقال سبحانه وتعالى: **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾** [المائدة: ٩٢].

وقال سبحانه وتعالى: **﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾** [النور: ٥٤].

(١) أخرجه الترمذي: كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، رقم (٢٦٦٤)،

وابن ماجه: مقدمة السنن، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، رقم (١٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب **﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾**، رقم (٤٨٨٦)،

ومسلم: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، رقم (٢١٢٥).

وقال سبحانه أيضًا في سورة النور أيضًا: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].
 وصدق رسول الله ﷺ حينما أرشد الأمة قائلاً: «أَلَا إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي»^(١).

وجاء في «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَا أَبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»^(٢).

فالذي يقفُ عاصياً لأمر رسول الله ﷺ هو في حقيقة أمره عاصٍ لأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، القائل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].



(١) أخرجه البزار في المسند (٣٨٥/١٥)، رقم (٨٩٩٣)، والدارقطني في السنن (٢٤٥/٤)، والحاكم في المستدرک (٩٣/١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم (٧٢٨٠).



(١١)

لماذا يزكون؟

•• ❁ ••

مَشْهُدٌ عَظِيمٌ تَتَجَلَّى فِيهِ أَجْمَلُ صُورِ الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ، وَالْجُودِ وَالسَّخَاءِ، نَرَاهُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ، يَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ عَامٍ، ذَلِكَ الْمَشْهُدُ هُوَ مَشْهُدُ الْمُزَكِّينَ الَّذِينَ طَابَتْ نَفُوسُهُمْ، وَطَهَّرَتْ قُلُوبُهُمْ، وَخَلَصَتْ نِيَّاتُهُمْ، فَعَمَدُوا إِلَى أَمْوَالِهِمْ، فَاقْتَطَعُوا مِنْهَا جُزْءًا يَسِيرًا، فَوَضَعُوهُ فِي يَدِ الْفَقِيرِ وَالْمَسْكِينِ، وَالسَّائِلِ وَابْنِ السَّبِيلِ عَنِ طَيْبِ نَفْسٍ وَرِضَا، وَيَقِينٍ بِالْخُلْفِ وَالْعَوَاضِ مِنَ اللَّهِ **جَلَّ وَعَلَا**؛ رَغْبَةً فِي طَهَارَةِ نَفُوسِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، وَهُمْ يَتَأَمَّلُونَ قَوْلَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ: **﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [التوبة: ١٠٣].

ويعمد هؤلاء إلى أموالهم التي جمعوها، وبذلوا الجهد في تجميعها، ثم يقطعون منها جزءًا يسيرًا، يضعونه في يد الفقير، يُرجونه من ملكهم وممتلكاتهم إلى ملك غيرهم؛ لأسباب ودوافع، منها:

الـدَّافِعُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ يُزَكُّونَ امْتِثَالًا لِأَمْرِ خَالِقِهِمْ سُبْحَانَهُ الَّذِي مَنَحَهُمْ هَذَا الْمَالَ، وَهُمْ يَقْرَأُونَ فِي كِتَابِهِ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ، يَقْرَأُونَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾** [البقرة: ٤٣].

وَيَقْرَأُونَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [البقرة: ١١٠].

ويقرؤون قوله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

ويقرؤون قوله سبحانه: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْفِلِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

هذا هو الدافع الأول الذي يدفعهم لإخراج زكاة أموالهم، طابت نفوسهم؛ رغبةً فيما عند ربهم سبحانه، يمثّلون أمره.

الدافع الثاني: لعلمهم بمكانة الزكاة في الدين، فالزكاة في الدين لها شأن عظيم، وهي ركنٌ ركينٌ من أركان الإسلام، حيث قرن المولى سبحانه وتعالى بين الصلاة والزكاة، فإن تعجّب فاعجب من إنسانٍ يصلي، ويحافظ على الصلاة ولا يزكي.

علموا بأن الزكاة لها شأن عظيم، فطابت نفوسهم وأخرجوها، وهم يمثّلون، ويتأمّلون قول النبي ﷺ، كما جاء في «صحيح البخاري» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، حيث قال ﷺ: «بُني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»^(١).

لا يقوم الإسلام إلا على هذه الأركان الخمسة، فأدوا زكاة ما لهم؛ لعلمهم بمكانة الزكاة من الدين.

وجاء عند الحاكم في «مستدرکه» أن عمر رضي الله عنه قال: ذكّر لي أنّ الأعمال

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بُني الإسلام على خمس»، رقم (٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام، رقم (١٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

تَبَاهَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَقُولُ الصَّدَقَةُ: أَنَا أَفْضَلُكُمْ^(١).

الدافع الثالث: لعلمهم بخطورة الامتناع عن أداء الزكاة، قرؤوا في كتاب ربهم، وفي سيرة نبيهم ﷺ، فأدركوا الخطر الجسيم لمن يمتنع عن دفع زكاة ماله، وفكر الواحد منهم قائلاً: كم سيعيش؟ ستين سنة، أو سبعين سنة، هب أني عشت مائة سنة! الخطر يقول: إن مانع الزكاة سيجد أهوالاً بعد موته في قبره، وبين يدي ربه، فأدوا زكاة أموالهم لعلمهم بالمخاطر المحدقة لمانع الزكاة.

وقرؤوا ذلك في كتاب الله، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

وقرؤوه أيضاً في سيرة نبيهم ﷺ، حينما قال، كما جاء في حديث جابر رضي الله عنه عند مسلم: «وَلَا صَاحِبِ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ، إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أي: تحوّل هذا المأل «شجاعاً أقرع» أي: ثعباناً عظيماً، سقطت شعرات رأسه من شدة السم الذي فيه «يتبع صاحبه حيثما ذهب، ويُقال: هذا مالك الذي كنت تبخل به»^(٢).

وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه رقم (٢٤٣٣)، و الحاكم في المستدرک (٤١٦/١)، والبيهقي في الشعب رقم (٣٠٥٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (٩٨٨).

فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقال النبي ﷺ، كما جاء عند الطبراني في «معجمه الصغير» من حديث أنس
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَانِعُ الزَّكَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ»^(١).

هُم عِلِمُوا بِهِذِهِ الْحَقِيقَةِ، فَدَفَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ وَرِضَا، وَاتَّقَاءَ
لهذه المخاطر.

الدافع الرابع: لعلمهم ويقينهم بأن الزكاة تقي الزكّي الآفات والمصائب
والنكبات في الدنيا والآخرة؛ فقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]. فأَيُّ نِعْمَةٍ هَذِهِ!

وجاء عند الطبراني في «معجمه الأوسط» من حديث جابر بن عبد الله
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ، ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ»^(٢). أي: في
المالِ شَرٌّ لَا يَذْهَبُ إِلَّا بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ.

بل إن العبد ليتنفع في قبره، وحينما يقف بين يدي ربه بما دفعه من زكاة مال،
قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ، وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ»^(٣).

(١) المعجم الصغير رقم (٩٣٥).

(٢) المعجم الأوسط رقم (١٥٧٩). وأخرجه بنحوه: ابن أبي شيبة في المصنف رقم (٩٩٢٣)، وابن
خزيمة في صحيحه رقم (٢٤٧٠)، والحاكم في المستدرک (١/٣٩٠).

(٣) أخرجه أحمد (٤/١٤٧)، والطبراني في الكبير (١٧/٢٨٦)، رقم (٧٨٨)، من حديث عقبة بن

عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وما أحوَجَ العبدَ في قبره إلى هذه النعمة، وإلى هذا العطاء! وكذلك إذا وقفَ بين يدي ربه!.

نعم، هؤلاء لما تفكروا في الدنيا، وأنها ذاهبةٌ وراحلةٌ وزائلةٌ، وأن هذا المال مال الله، وأن الزكاة شيءٌ يسيرٌ، يُخرجُ في المائةِ اثنين ونصفًا، ليس كل يومٍ، ولا في كل شهرٍ، بل في كل عامٍ، فرآها يسيرةً، المالُ مال الله، وما يُخرجُه اليومَ من حسابه، فإنها هو يضعه في حسابه في الآخرة؛ ليجده أوفرَ ما يكون عند ربه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

الدافع الخامس: علم هؤلاء المزكون بأن الزكاة بصفةٍ خاصّةٍ، والبدل والعطاء بصفةٍ عامّةٍ، بوابةٌ لسائر أعمال البرِّ، فالذي يتغلّب على نفسه فيزكّي، ويُعطي، ليعلم أن هذه هي البوابة الأولى لأعمال البرِّ؛ فقد قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي** سورة الليل: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَى** ﴿٥﴾ **وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى** ﴿٦﴾ **فَسَنِيْرُهُ لِلْيسْرِى** ﴾ [الليل: ٥-٧] هناك تيسيرٌ من الله لك أيها المعطي المزكّي ﴿ **وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى** ﴿٨﴾ **وَكَذَبَ بِالْحَسَنَى** ﴿٩﴾ **فَسَنِيْرُهُ لِلْعُسْرِى** ﴿١٠﴾ **وَمَا يَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى** ﴾ [الليل: ٧-١١].





(١٢)

لماذا يتوبون؟



عندما يقترب رمضان - وفي مثل تلك الأيام من كل عام - نشهد قوافل للتائبين، ونشهد إقبالاً على الله، والعاقل الراشد في مثل تلك الأيام من أعد العدة، وأعظم ما يستعدُّ به في مثل هذه الأيام لشهر رمضان التوبة الصادقة النصوح، وهذا أمر محمود، ومشكور، يدفعنا إلى أن نتساءل: لماذا يتوبون؟

والجواب على ذلك: أنهم يتوبون لأسباب، منها:

السبب الأول: أنهم يتوبون امتثالاً لأمر خالقهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي أَمَرَهُم بِالتَّوْبَةِ فِي كُلِّ حِينٍ، وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [النور: ٣١].

وقال القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ التَّوْبَةَ فَرَضٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ^(١).**

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [التحریم: ٨].

(١) تفسير القرطبي (٥ / ٩٠).

إِنَّهُمْ يَمْتَثِلُونَ أَمْرَ خَالِقِهِمْ سُبْحَانَهُ، الْقَائِلِ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مَنَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ. وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣].

السبب الثاني: يتوبون تأسياً واقتداءً بالصالحين من الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم، فالأنبياء والمرسلون يُجَدِّدُونَ التوبة في كل حين، وأتباعهم كذلك، فهؤلاء الذين يتوبون إنما يتأسسون ويقتدون بهؤلاء.

وقد أخبرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بحادثة موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَالَ فِي آخِرِهَا: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَبَعًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وهو نبيُّ ورسولٌ من أولي العزم من الرسل، يقول: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾، فحريُّ بنا أن نقول: تُبْنَا إِلَيْكَ يَا رَبَّنَا.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

وهاهو سيّد الخلق مُحَمَّدٌ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ نَفْسِهِ، كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ الْأَعْرَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(١).

وجاء في «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ مِنْ دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار، رقم (٢٧٠٢).

بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١).

السبب الثالث: أنهم يعلمون أن من طبيعة البشر الخطأ، والوقوع في الذنب، وقد امتدح الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مَنْ إِذَا وَقَعَ فِي الذَّنْبِ تَابَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، كما جاء في حديث أنسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عند ابن ماجه: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَّابُونَ**»^(٢).

وقال أيضًا - كما جاء عند الطبراني في «معجمه الكبير» - من حديث ابن عباسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ يَعْتَادُهُ الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ، أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ لَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يُفَارِقَ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُفْتَنًا تَوَّابًا نَسِيًّا إِذَا ذُكِرَ ذَكَرًا**»^(٣).

السبب الرابع: ليبادروا بالتوبة قبل أن يُغلق الباب، نحن نلاحظ الموت، كيف يتخطفُ الناس، وفي مثل هذه الأيام خاصة، فكَمَ مِمَّنْ كَانَ مَعَنَا بِالْأَمْسِ فَقَدَنَاهُ الْيَوْمَ! وَكَمَ مِمَّنْ مَعَنَا الْيَوْمَ سَنَفَقَدُهُ فِي الْغَدِ.

إِنَّهُمْ يُبَادِرُونَ التَّوْبَةَ قَبْلَ أَنْ يُغْلَقَ الْبَابُ؛ حَيْثُ قَالَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿**إِنَّمَا**

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت»، رقم (٦٣٩٨)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل، رقم (٢٧١٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/١٩٨)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، رقم (٤٢٥١).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/٣٠٤)، رقم (١١٨١٠)، والبيهقي في الشعب رقم (٦٧٢٢).

التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ [النساء: ١٧-١٨].

وقال رسول الله ﷺ، والحديث عند مسلم، من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيُتُوبَ مُسِيئُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيُتُوبَ مُسِيئُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).
وقال ﷺ أيضًا، كما جاء في «مسند أحمد»: «مَنْ تَابَ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يُغْرَغَرَ، قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ»^(٢).

السبب الخامس: طمعا فيما أعدّه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للتائبين من أجورٍ وحوافزٍ، فالتائب عند الله حوافزٌ، وهي أجورٌ عظيمةٌ، والتائب يطمع في ذلك، والحوافز كثيرة، ويكفي أن نعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحبُّ التائب من ذنبه، ويغفر له، كما قال الحقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

إنهم يطمعون في الحافز الأكبر، وهو حينما تُبدل السيئات إلى حسناتٍ، وما منّا من أحدٍ إلا وهو يذكرُ هذا الحافز، وماذا قال الله فيه، فقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ

(١) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم (٢٧٥٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٢/٥)، والحاكم في المستدرک (٢٥٧/٤)، عن عبد الرحمن بن البيهقي، عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

لأجل هذا نشطت الهمم، وتحركت ونهضت النفوس نحو هذا الباب قبل أن يُغلق، باب التوبة؛ فلأجل هذا تاب التائبون.
اللهم اجعلنا ممن تاب وأناب إليك، فقبلت توبته، وأدخلته جنتك يا ذا الجلال والإكرام.





(١٣)

لماذا يعفون؟



ليلةُ الخَامِسِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ، هِيَ لَيْلَةٌ عَظِيمَةٌ، قَدْ خَصَّهَا اللَّهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** بِخَاصِّيَّةٍ عَظِيمَةٍ، فَجَعَلَ لِمَنْ صَفَّى فِيهَا قَلْبَهُ مِنَ الْحَقْدِ وَالشَّرِكِ، وَبَاتَ لَيْلَتِهَا مَوْحِدًا مُتَسَامِحًا، قَدْ عَفَا وَتَجَاوَزَ وَغَفَرَ لِمَنْ أَخْطَأَ فِي حَقِّهِ وَظَلَمَهُ، مَغْفِرَةً مِنَ اللَّهِ وَأَجْرًا عَظِيمًا.

فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِلشَّرِكِ أَوْ مُشَاحِنٍ»**^(١). هَذِهِ رِوَايَةُ ابْنِ مَاجَةَ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَطَّلِعُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ لَيْلَةَ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيُمَهِّلُ الْكَافِرِينَ، وَيَدَعُ أَهْلَ الْحَقْدِ بِحَقْدِهِمْ حَتَّى يَدْعُوهُ»**^(٢). رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ.

فَالْعَفْوُ وَالتَّسَامُحُ يُدَاوِي الْقُلُوبَ الْمَكْلُومَةَ، وَيُجِيلُ الانْقِسَامَ إِلَى مَحَبَّةٍ وَوِثَامٍ، وَالْفُرْقَةَ وَالْاِخْتِلَافَ إِلَى اجْتِمَاعٍ وَاتِّلَافٍ، وَيَذْهَبُ بِوَحْرِ الصَّدُورِ الْمَهْمُومَةِ.

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، رقم (١٣٩٠).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/٢٢٤، رقم ٥٩٣)، والبيهقي في الشعب رقم (٣٥٥١).

والعفو والتسامح من شيم الكبار، لا تعرفه ولا تصل إليه إلا النفوس الكبيرة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وقد سمى الله سبحانه وتعالى نفسه بالعفو، فأحب العفو وأهله، وأمر بالأخذ به، فقال سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].
ووعده أهله بالأجر العظيم، فقال سبحانه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

قال عقبه بن عامر رضي الله عنه: لقيت رسول الله ﷺ، فقال: «يا عقبه، صل من قطعك، وأعط من حرمك، واغف عمّن ظلمك»^(١).

هذه هي شيم الكبار، وهذه قواعد النجاة والراحة في الحياة؛ لذا لما سُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ، قالت: لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا صخاباً بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح^(٢).

عباد الله! حديثنا عن العفو، وعن العافين، وسؤالنا: لماذا يعفون؟
وهناك دوافع وحوافز تدفع هؤلاء الكبار ليعفوا عمّن ظلمهم، وأخطأ في حقهم، وهي خمسة دوافع دفعت هؤلاء الكبار أن يكونوا في مقدمة صفوف العافين:
الدفْعُ الأوَّلُ: هم يعفون؛ ليفوزوا بمحبة الله تعالى، فالله يحب العفو وأهله،

(١) أخرجه أحمد (٤/١٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (٦/١٧٤)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ، رقم

(٢٠١٦).

وهكذا جاء عند الحاكم في «مُستدرکه» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ يُحِبُّ الْعَفْوَ»^(١)؛ فلأن الله يُحِبُّ العفو، ويحبُّ أهله، عَفْوًا وتجاوزوا عَمَّنْ أخطأ في حقهم.

وقال ابن القيم رحمه الله في كتابه «مدارج السالكين»: وهو سُبْحَانَهُ يُحِبُّ موجبَ أسمائه وصفاته، فهو عليمٌ يحبُّ كلَّ عليم، جوادٌ يحبُّ كلَّ جوادٍ، وترُّ يحبُّ الوتر، جميلٌ يحبُّ الجمال، عَفْوٌ يحبُّ العفو وأهله^(٢).

الدافع الثاني: يَعْفُونَ للفوز بعفو الله، فهم يُدرِكون تمامًا قاعدة أن الجزاء من جنس العمل، فَمَنْ عفا عَفِيَّ عنه، وَمَنْ تَجَاوَزَ تَجَاوَزَ اللهُ عنه، وَمَنْ غَفَرَ غَفَرَ اللهُ له، وأخذوا هذه القاعدة من كتاب الله، ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة النور: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وقال سُبْحَانَهُ في سورة التغابن: ﴿وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

وجاء أيضًا عند الطبراني، من حديث جرير رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ، وَمَنْ لَا يَغْفِرُ لَا يُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ لَا يَتَّبِعُ لَا يُتَّبَعُ عَلَيْهِ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٤١٩/١)، والحاكم في المستدرک (٣٨٢/٤).

(٢) مدارج السالكين (٤٢١/١).

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٣٥١/٢)، رقم (٢٤٧٦)، وأخرجه مختصر البخاري: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم (٦٠١٣)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان، رقم (٢٣١٩).

وهناك بعض الناس يقول: الذي يُخطئ في حقي لا أسأحه أبداً إلى قيام الساعة. وهذا خطأ فقد جاء في «مسند أحمد» من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر الله لكم**»^(١). وقد جاء عند أحمد أيضاً في «مسنده» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**اسمع، يسمع لك**»^(٢).

وقد أساء رجل في حق أبي الدرداء رضي الله عنه وتعدى، وظلمه، وشتمه شتيمَةً عظيمة مؤلمة؛ فقال له أبو الدرداء: يا هذا لا تُغرِقنَّ في سبنا، ودع للصُّلح مَوْضِعاً، فَإِنَّا لَا نُكَافِي مَنْ عَصَى اللَّهَ فِينَا بِأَكْثَرٍ مِنْ أَنْ نُطِيعَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ^(٣).

الدافع الثالث: أنهم يريدون العزَّ والسؤدد والرفعة، فالذي يعفو ويتجاوز يرتفع، قد لا يرتفع عند بعض الناس، لكنه عند الله مرتفع.

وهم يعفون يريدون العزَّ؛ حيث جاء في «صحيح مسلم»، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ**»^(٤).

وفي سنن الترمذي: أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**وَلَا ظَلَمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا**»^(٥).

(١) أخرجه أحمد (١٦٥/٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٨/١).

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ٢٥٢).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلوة، باب استحباب العفو والتواضع، رقم (٢٥٨٨).

(٥) أخرجه أحمد (٢٣١/٤)، والترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، رقم

(٢٣٢٥)، من حديث أبي كبشة الأنباري رضي الله عنه.

فَالَّذِي يَبْحَثُ عَنِ الشَّرَفِ فَلْيَتَجَاوَزْ، وَالَّذِي يَبْحَثُ عَنِ السُّودِّ وَالرَّفْعَةِ
وَالعِزِّ فَلْيُسَامِحْ.

وعندما قيل للإمام الشافعي **رَحِمَهُ اللهُ**: هذا يُخْطِئُ في حَقِّكَ، وهذا يَتَجَاوَزُ
عليك، وهذا يقولُ فيكَ، وأنت لا تَرُدُّ، ولا تتكلم! أنشدَ قائلًا:

قالوا سَكَتَ وَقَدْ خُوصِمْتَ قُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْجَوَابَ لِيَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ
فَالصَّمْتُ عَنْ جاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفٌ وفيه أيضًا لَصَوْنِ العِرْضِ إِصْلَاحٌ^(١)

وهذا المقنعُ الكِنديُّ، أحدُ شعراءِ العصرِ الأمويِّ، عابَ عليه قومه أنه كثيرُ
التجاوُزِ والصفحِ عمَّنْ ظلمه، فأنشدَ أبياتًا بقيت في الأمةِ إلى يومنا هذا، نُردِّدها
على منابرنا، حينما قال:

وإنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لِمُخْتَلِفٌ جَدًّا
فإن يَأْكُلُوا لحمي وَفَرَّتْ لِحومُهُمْ وإن يَهْدِمُوا مجدي بَنِيْتُ لَهُمْ مَجْدًا
ولا أَحْمِلُ الحِقْدَ الدِّفينَ عَلَيهِمْ وليسَ رَئيسُ القومِ مَن يَحْمِلُ الحِقْدًا^(٢)

الدافعُ الرابعُ: يَعْفُونَ طمعًا في جناتِ عدنٍ، فليبشِرْ بجنَّةِ عدنٍ مَن يعفو،
وهذا كلامُ ربِّنا **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، فَقَدْ قالَ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ

(١) ديوان الشافعي (ص: ٥١).

(٢) الأبيات للمقنع الكندي، انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (٧٢٨/٢)، وديوان الحماسة بشرح
المرزوقي (ص: ٨٢٩)، وتاريخ بغداد (١٢٠/٢٠).

وَالضَّرَاءُ وَالْكُظْمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾

[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

الدافع الخامس: يعفون طلباً لراحة النفس وطمأنينة القلب، فالمتسامح الذي يكثر العفو، يعيش في راحة وطمأنينة، ومن عاش في راحة وطمأنينة كان مُتَنَجِّجًا، وكان في أسرته ونفسه ومُجْتَمِعِهِ فاعلاً، كثير العطاء؛ لأنه ليس هناك هموم تحول بينه وبين الإنجاز والعطاء.

قال أبو العتاهية:

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ لَمْ يَصْفُ عَيْشُهُ وَمَا يَسْتَطِيبُ الْعَيْشَ إِلَّا الْمَسَامِحُ (١)

وأبرك من ذلك قول الحق سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

فإذا أردت الحياة الهانئة، والنفس المطمئنة، والعيش الطيب، فلتسامح، ولا تلتفت، وكُنْ أنت الأكبر الأعظم بهذا التجاوز.

وعوداً على الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ، حينما سطر تلك الأبيات، يُترجم فيها

هذا الدافع، يقول:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ
أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ
إِنِّي أَحْبَبِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيِيهِ
لَأُدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ

(١) ديوان أبي العتاهية (ص: ١١٥).

وَأُظْهِرُ الْبَشَرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغِضُهُ كَأَنَّمَا قَدْ حَشَا قَلْبِي مَحَبَّاتٍ^(١)

هذا هو فقه الحياة، وفقه التعامل مع الناس، فلا يمكن أن يعيش الإنسان في هذه الحياة هائلاً مطمئناً، إلا إذا بات وهو مُتسامح مع نفسه، ومع الآخرين. نعم، دفعته هذه الأمور ليعفوا عمَّن ظلمهم، ومن أخطأ في حقهم؛ طلباً في هذه الحوافز.



(١) الأبيات عزاها للشافعي؛ الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص: ١٨٢)، والبيهقي في مناقب الشافعي (٨٧/٢)، وانظر ديوان الشافعي (ص: ٣٩).



(١٤)

لماذا يتقون؟



أبرز ما يميز رمضان هو الصيام، وأعظم مقاصد الصيام تحقيق التقوى؛ لذا نقرأ في أول آية تحدت عن الصيام، الإشارة إلى التقوى في قول الله تبارك وتعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ونقرأ في آخر آية في سياق الحديث عن الصيام الإشارة إلى التقوى، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

والتقوى وصية الله سبحانه وتعالى للأولين والآخرين، كما قال الحق تبارك وتعالى:

﴿وَلِلَّهِ مَكَانٌ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَاتَوْنَا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

وهي زاد المؤمنين، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَكَرَّوْاْ فِيهَا خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ^(١)

وكذلك بيّن الله تعالى أنّ التقوى لباس المؤمن، وهي خير ما يلبس المؤمن، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْءَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ الْتَقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التَّقَى تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا

وَخَيْرُ خِصَالِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا^(٢)

والتقوى وصية رسول الله ﷺ، حينما أوصى بتلك الوصية إلى أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيَّةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٣)، هذه رواية الترمذي.

وفي مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ يُوصِي ﷺ، ويرسل بهذه الوصية لأبي ذرٍّ، فيقول: «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَعَلَانِيَتِهِ»^(٤).

والتقوى هي أن تعمل بطاعة الله على بصيرة، وأن تترك المعاصي على بصيرة، كما قال طلق بن حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ: التَّقْوَى أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ،

(١) ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت (ص: ٧٩).

(٢) ذكره ابن رجب في لطائف المعارف (ص: ١١٢)، غير منسوب.

(٣) أخرجه أحمد (١٥٣/٥)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشره الناس، رقم (١٩٨٧).

(٤) أخرجه أحمد (١٨١/٥).

ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله، تخاف عقاب الله^(١).
خَلَّ الدُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، ذَاكَ التَّقَى
وَاصْنَعْ كَمَا شِئْتَ فَوْقَ أَرْضِ الشُّوكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى^(٢)

والدوافع إلى التقوى كثيرة، منها:

الدافع الأول: استجابة لأمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي أَمَرَ عِبَادَهُ بِتَقْوَاهُ،**
 والآيات في ذلك كثيرة، منها قول الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُوا**
اللَّهُ وَلَتَنْظُرَنَّهُ مَا قَدَّمْتَ لِرِجَالِهِمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

الدافع الثاني: طلباً لتيسير الأمور، فإن أكبر معوق في طريق الناس في
 تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، هو تعسير الأمور، لكن الذي يتقي ويضع قدمه
 على صراط التقوى تيسر له الأمور، هذا قول الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛** لذا اتقى من
 اتقى.

قال الله سبحانه: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾** [الطلاق: ٤].

وقال سبحانه: **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيسِرْهُ لِلْبُيُوتِ ﴿٧﴾**

[الليل: ٥-٧].

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٤٧٣/١) رقم (١٣٤٣)، وابن أبي شيبة في المصنف رقم

(٣٠٩٩٣)، وأبو نعيم في الحلية (٦٤/٣).

(٢) ديوان ابن المعتز (ص: ٢٩).

الدافع الثالث: طلبًا لتنزّل البركات، وأحوج ما يحتاجه العبد اليوم، وفي كل يوم، حصول البركة، وانظر إلى شكوى الناس اليوم، وهم يشتكون قلة البركة في أوقاتهم وأعمالهم وأولادهم، وأعمالهم، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أرشد إلى مكان البركة، فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [الأعراف: ٩٦].

الدافع الرابع: طلبًا للبصيرة والسداد، والهداية والرشاد، فإن التقي يُرزق بصيرة يميز بها بين الحق والباطل، ويميز بها بين النور والظلمات، وهذا قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في كتابه الكريم، فقد قال سبحانه: **﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾** [الأنفال: ٢٩]. أي: تميزون به بين الحق والباطل.

وقال سبحانه في موضع آخر: **﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾**، فتكون النتيجة: **﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾** [الحديد: ٢٨]، هداية، وبصيرة، وسدادًا، ورشادًا لمن اتقى ربه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

الدافع الخامس: طلبًا للفوز بمحبة الله، فالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يحب عباده الأتقياء، فقد قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾** [آل عمران: ٧٦]، فإذا أحببك الله وضع لك القبول في الأرض.

قال هرم بن حيّان **رَحِمَهُ اللَّهُ:** ما أقبل عبدٌ بقلبه إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ** - ولا يُقبل بقلبه إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ** إلا التقي - إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم ^(١).

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١٥/٦٤٣ - ٦٤٤)، والبيهقي في الزهد الكبير رقم (٧٩٩).

الدافع السادس: طلباً لرحمة الله، فاللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يقولُ في كتابه: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

الدافع السابع: طلباً للنجاة من النار، فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بيّن في كتابه أن من اتقاه نجاهه ووقاه من النار، فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ **وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا** ﴾ (٧١) **ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا** ﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

الدافع الثامن: طلباً للفوز بالجنة، فإن من اتقى ربه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، فاز بجنّة عرضها السموات والأرض، فقد قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وحينما وقف رسولُ الله ﷺ يخطبُ في حجة الوداع، وقال في ثنايا خطبته: «**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا إِذَا أَمَرَكُمُ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ**»^(١).

فمن اتقى الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فاز بجنّة عرضها السموات والأرض. هذه الدوافع مجتمعة دفعت من اتقى أن يتقى ربه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وهناك حوافز ودوافع أخرى كثيرة، لمن تأمل في كتاب الله، وتابَع ما جاء في سيرة رسول الله ﷺ.



(١) أخرجه أحمد (٥/٢٥١)، والترمذي: كتاب الصلاة، باب منه، رقم (٦١٦)، من حديث أبي



(١٥)

لماذا يصومون؟



قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].
في هذه الآية جوابٌ للذي يتساءل: لماذا يصوم المسلم ويُحْمَلُ نفسه هذه
المشاقَّة؟ ولماذا يصوم الكبيرُ المتعبُ، ويصوم الصغيرُ المجهدُ؟

فيأتي الجوابُ في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾،
هذا جوابٌ مُجْمَلٌ، أمَّا إذا أَرَدْتَ أَنْ تعرفَ الجوابَ بالتفصيلِ، فهو كالتالي:

أولاً: هو يصومُ استجابةً لأمرِ الله سُبْحَانَهُ، وطلبًا لمرضاته، فهذا المسلمُ
الَّذِي يُتَعَبُهُ الصيامُ، ويُجهدُهُ، ويجدُ فيه مشقَّةً فيصومُ؛ ما ذلك إلاَّ لِأَنَّهُ يَسْتَجِيبُ
لأمرِ الله، ويدركُ تمامًا أَنَّ المخالفَ لأمرِ الله عاصٍ، فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمرَ بالصيامِ،
فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ
وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فأوجبَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صيامَهُ، فصامَهُ هذا المسلمُ استجابةً لأمرِ الله، فلا
يخطرُ على بالكِ جوابٌ قبلَ هذا الجوابِ.

قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).

وهذا كَرَمٌ مِنَ اللَّهِ، قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ هَوْلَاءِ الصَّائِمُونَ، يَنْهَلُونَ مِنْ ذَلِكَ الْكَرَمِ. رابعًا: يَصُومُونَ طَمَعًا فِي الْجَنَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وَعَدَّ هَذَا الصَّائِمَ الْمُجْهَدَ، الَّذِي يَرَى سَاعَاتِ النَّهَارِ الطَّوِيلَةَ - سِوَاءً فِي مُجْتَمَعَاتِنَا هَذِهِ، أَوْ فِي غَيْرِهَا مِنْ الْمَجْتَمَعَاتِ الَّتِي يَطُولُ فِيهَا النَّهَارُ عِشْرِينَ سَاعَةً، أَوْ وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ سَاعَةً - وَيَصُومُ طَمَعًا فِي جَنَّةِ اللَّهِ؛ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ مِنْ بَابٍ يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ.

وجاء في «صحيح البخاري» من حديث سهل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ. يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ:» أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ «أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»^(٢).

خامسًا: يَصُومُونَ لِلنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وَانظُرْ مَاذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**؛ حَتَّى تُدْرِكَ تَمَامًا لِمَاذَا كَانَ سَلْفُ الْأُمَّةِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ شَهْرَ رَمَضَانَ^(٣)، وَيَصُومُونَ رَمَضَانَ بِقُلُوبٍ سَعِيدَةٍ، فَرِحَةَ، تَطْمَعُ فِي هَذِهِ الْخَيْرَاتِ؛

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان، رقم (٣٨)، ومسلم:

كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم (٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، رقم (١٨٩٦)، ومسلم: كتاب الصيام،

باب فضل الصيام، رقم (١١٥٢).

(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٤٨)، عن معلى بن الفضل.

فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^(١).

فحينما تصوم رمضان لا تتصجر، بل افرح بصيامك؛ لأنك ترى هذا الخير أمامك، هذه إحدى فضائل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

سادسًا: يصومون طمعًا في شفاعَةِ الصيام، فيوم القيامة هناك شُفَعَاءُ، اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَشْفَعُ، ورسله يشفعون، والصالحون من عباده يشفعون، ويأتي الصيام والقرآن يشفعان للعبد، فصاحبنا هذا يصوم من أجل أن يحظى بشفاعة الصيام.

وجاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عند الطبراني في «معجمه الكبير» أن رسول الله ﷺ قَالَ: «الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ، يَقُولُ الصَّيَامُ: رَبِّ مَنْعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ بِالنَّهَارِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: رَبِّ مَنْعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ»، قَالَ: «فِيَشْفَعَانِ»^(٢).

لأجل هذا يصوم المسلم مع ما يحصل له من جهدٍ ومشقةٍ.

سابعًا: يصومون؛ لأنهم قد علموا أن من ختم له بصيامٍ دخل الجنة، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصوم في سبيل الله، رقم (٢٨٤٠)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، رقم (١١٥٣/١٦٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤/٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٨/١٣)، رقم (٨٨).

صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءً وَجِهَ اللهُ خُتْمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

علموا أن من حُسنِ الخاتمة أن يموتَ الإنسان وهو صائمٌ في ذلك اليوم، أو قد أفطرَ في ذلك اليوم؛ لهذا أحبُّوا رمضانَ، وسألوا الله أن يُعينهم فيه على الصيام. ثامناً: لأنهم قد علموا أن أحدَ العلاجاتِ الناجحةِ الربانيةِ، التي لا شكَّ فيها لأمراضِ القلوبِ؛ هو الصيامُ، فهو أعظمُ علاجاتِ القلوبِ، من وساوسها، وشكوكها، ومما فيها من الغشِّ والحقدِ والحسدِ، وسمومِ الطباعِ، وسيِّئِ الأخلاقِ، علموا ذلك حينما نظروا في سيرةِ النبي ﷺ، وتدبَّروا ما جاء في منطوقه ﷺ، فقد جاء في حديثِ أبي العلاءِ بنِ الشخيرِ، يحدثُ عن أعرابيٍّ جاءهم بالمربدِ، يقولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ» أي: رَمَضَانَ «وثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، صَوْمُ الدَّهْرِ، وَيُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ»^(٢) أي: غِشَّهُ وَغَلَّهُ، وما فيه من سيِّئِ الطباعِ.

لأجلِ هَذَا يصومُ المسلمُ؛ ولأجلِ هَذَا ارتفعتِ الأَكْفُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ بَعْدَ انقضاءِ رَمَضَانَ، تقولُ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا بَلِّغْنَا شَهْرَ رَمَضَانَ.



(١) أخرجه أحمد (٣٩١ / ٥)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب رقم (٣٥٧٤). وأخرجه بنحوه أحمد (١٥٤ / ٥)، من حديث أبي ذر

الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



(١٦)

الفائزون بدعاء واستغفار الملائكة

•• ❁ ••

النفس البشرية تتطلع دائماً إلى الفوز، وتعشق هذه الكلمة، وتطمح إليها؛ لذا تراها تنتقل من ميدانٍ إلى ميدانٍ آخر؛ رجاء أن تكون من الفائزين، والفوز له معنيان: فوزٌ في الدنيا، وفوزٌ في الآخرة.

ومن صور هذا الفوز أن تفوز بدعوة الصالحين، فهذا فوزٌ عظيمٌ، وقد مرَّ معروفُ الكرخي بالسوق فسمع سقياً يقول: رحم الله من يشرب. وكان نهار ذلك اليوم صائماً نافلاً، فوقف عنده وشرب، فقيل له: يا معروف أنت صائم؟ قال: نعم، ولكني رجوت أن تُصيبي دعوة هذا السقّاء، فلعله أن يكون مُستجاب الدعوة^(١).

يتعرّضون لدعوة الصالحين؛ لعلهم يفوزون بدعوة أحدهم، فكيف إذا كان هذا الذي يدعو خلقاً من خلق الله المطيعين، الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يُؤمرون، وهم الملائكة.

وقبل الحديث عن الفائزين بدعوة الملائكة لا بد أن نعلم أن الإيمان بالملائكة أصلٌ من أصول الاعتقاد، لا يتم الإيمان إلا به، قال الله سبحانه وتعالى:

(١) الرسالة القشيرية (ص: ٤٤)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٥/ ٢٣٢ - ٢٣٣).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَالِكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ ءَالْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

والملائكة خلق جبلهم الله سبحانه وتعالى على الطاعة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].
وهم خلق لا يعلم عددهم إلا الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

قال رسول الله ﷺ يوماً من الأيام لصحابته الكرام: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ» أي: جاء لها صوتٌ من كثرة الزحام والثقل الذي عليها «وَحَقَّقَ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ»^(١).

والفائزون بدعاء الملائكة هم:

أولاً: التائبون المتبعون لسبيل رب العالمين، فقد قال الله تبارك وتعالى في سورة غافر: ﴿الَّذِينَ يَمْجُلُونَ الْعَرْشَ﴾ أي: الملائكة، في ذلك الملكوت العظيم ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ

(١) أخرجه أحمد (١٧٣/٥)، والترمذي: كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم»، رقم (٢٣١٢)، من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿﴾ [غافر: ٧-٩].

أنت هنا تائبٌ إلى الله، عائدٌ إلى سبيله الصحيح، والملائكة الذين هم حول العرش ويحملونه يستغفرون لك، ويدعون لك بالجنة، ليس أنت وحدك، بل لك ولو الدنيك.

ثانياً: معلّمو الناس الخير، هؤلاء تشتغل الملائكة بالدعاء لهم، جاء في «سُنن الترمذي» من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»^(١).

وصلاة الملائكة دعاء لك بالرحمة والمغفرة، إذا قمت وأخذت بهذا الميدان، وسلكت فيه سبيل معلّم الناس الخير.

ثالثاً: عمّار المساجد الذين عمّروه بالطاعة والصلاة والذكر، الذين هم في المسجد أشبه ما يكونون بأوتاد المساجد، وأعمدتها، أكثر أوقاتهم في المسجد، وإذا خرجوا تركوا قلوبهم معلقة في المساجد، فقد قال عنهم رسول الله ﷺ، كما جاء في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ» أي: يدعون له بالرحمة «مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَيْهِ»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٦٨٥).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، رقم (٢٧٢/٦٤٩).

تَصَوَّرَ أَنَّكَ فِي الْمَسْجِدِ وَقَدْ صَلَّيْتَ فَرِيضَةً وَجَلَسْتَ تَذَكُّرُ اللَّهِ، أَوْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، أَوْ تَتَفَكَّرُ، أَوْ تَتَأَمَّلُ، جَلَسْتَ سَاعَةً، أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ أَكْثَرَ، وَمَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ مَشْغُولَةٌ بِالدُّعَاءِ لَكَ، تَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَيْهِ». بَلْ يَتَفَقَّدُونَ أَوْضَاعَكَ، فَقَدْ جَاءَ فِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْلَادًا»، أَي: عُمَارًا «الْمَلَائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ، إِنْ غَابُوا يَفْتَقِدُونَهُمْ، وَإِنْ مَرَضُوا عَادُوهُمْ، وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ»^(١).

رَابِعًا: عَوَادُ الْمَرْضَى، مَنْ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ يَعُودُ مَرِيضًا، فِي الْمُسْتَشْفَى، أَوْ فِي بَيْتِهِ، أَوْ فِي أَيِّ مَكَانٍ، تَخْرُجُ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ، تَحْفُهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

جَاءَ عِنْدَ الْحَاكِمِ فِي «مُسْتَدْرِكِهِ» مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا إِلَّا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ آتَاهُ مُصْبِحًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُمَسِيَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ»^(٢).

خَامِسًا: أَوْلِيَاءُ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَكْلَةَ السَّحْرِ، فَالْمَلَائِكَةُ مَشْغُولُونَ بِالدُّعَاءِ لَهُمْ، يَأْكُلُونَ وَالْمَلَائِكَةُ يَلْهَجُونَ بِالدُّعَاءِ لَهُمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، كَمَا جَاءَ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ، فَلَا

(١) أخرجه أحمد (٤١٨/٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) المستدرک للحاکم (٣٤١/١)، وأخرجه أيضا: أحمد (١٢٠/١ - ١٢١)، وأبو داود: كتاب الجنائز، باب في فضل العيادة على وضوء، رقم (٣٠٩٨)، والترمذي: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض، رقم (٩٦٩)، وابن ماجه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من عاد مريضا، رقم (١٤٤٢).

تَدْعُوهُ، وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ»^(١).

تَصَوَّرَ هَذَا الْكَرَمَ الْعَظِيمَ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ قَيَّضَ لَكَ هَذَا الْخَلْقَ الْعَظِيمَ يَدْعُونَ لَكَ وَأَنْتَ تَأْكُلُ أَكْلَةَ السَّحْرِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ. سَادِسًا: أَوْلِيكَ الَّذِينَ إِذَا بَاتُوا تَطَهَّرُوا قَبْلَ مَبِيَّتِهِمْ، فَقَدْ جَاءَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي «مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «طَهَّرُوا هَذِهِ الْأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَبِيْتُ طَاهِرًا إِلَّا بَاتَ مَعَهُ مَلَكٌ فِي شِعَارِهِ» أَي: مَا بَيْنَ ثَوْبِهِ وَشَعْرِ جَسَدِهِ «لَا يَنْقَلِبُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا»^(٢).

أَنْتَ نَائِمٌ، وَالْمَلَكُ مَشْغُولٌ بِالدَّعَاءِ لَكَ بِالْمَغْفِرَةِ، فَمَنْ مَنَّا فِي غَنَى عَن دَعْوَةِ الْمَلَائِكَةِ، وَفِي غَنَى عَن هَذَا الْفُوزِ الْعَظِيمِ، وَغَيْرِهَا مِنْ صُورِ الْفُوزِ بِدَعَاءِ الْمَلَائِكَةِ!؟

سَابِعًا: الْمُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّكَ إِذَا صَلَّيْتَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَزَتْ بِدَعْوَةِ الْمَلَائِكَةِ، جَاءَ عِنْدَ ابْنِ مَاجَةَ فِي «سُنَنِهِ» مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ، إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيَكْثُرْ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (١٢/٣).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (١٠٥١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/٤٤٦)، رقم (١٣٦٢٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم (٧٠٩).

فكَلِّمًا صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَكْثَرَتْ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ، اشْتَغَلَتْ
الملائكةُ بالصلاةِ عليكِ، وصلاةُ الملائكةِ دعاءٌ لكِ بالرحمةِ والمغفرةِ.
فهذا أحدُ الفائزينَ بدعوةِ ملائكةِ ربِّ العالمينَ.





(١٧)

الفايزون بظل العرش

•• ❁ ••

تحدّثنا فيها مضى عن الفائزين بدعاء الملائكة، وحديثنا الآن عن الفائزين
بظلّ العرش يوم القيامة.

نعلم أنّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جعل يوماً للعباد يُحْشَرُونَ فيه، كلّ العباد، بل كلّ
الخلق يُحْشَرُونَ في ذلك اليوم، وهو يوم عصيب.

وجاءت الآيات تترى تُبَيِّنُ ماهية ذلك اليوم، منها قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ

الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى

جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥-٨٦].

وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ

عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ
حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

[الحج: ١-٢].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُصَبٍ يُوفَضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٣-٤٤].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبِيهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ﴾ [عبس: ٣٤-٤٢].

ومَّا جَاءَ فِي وَصْفِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ، حَدَثٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ أَنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو مِنْ رُؤُوسِ الْعِبَادِ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي أَرْضِ الْمُحْشَرِ، حَتَّىٰ يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يَرْتَفِعَ، ثُمَّ يَكُونُ النَّاسُ فِي عَرَقِهِمْ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ.

وقد بيَّن لنا رسولُ اللهِ ﷺ ذلكَ المشهدَ العظيمَ، فقال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أُذْيِتِ الشَّمْسُ مِنَ الْعِبَادِ حَتَّىٰ تَكُونَ قَبْدَ مِيلٍ أَوْ مِيلَيْنِ»، يقولُ سُلَيْمٌ -أحدُ رواة الحديث-: لَا أَذْرِي، لَا أَذْرِي أَيَّ الْمِيلَيْنِ يَعْنِي؟ أَمَسَافَةُ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلُ الَّذِي تُكْحَلُ بِهِ الْعَيْنُ؟

قَالَ: «فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ، فَيَكُونُونَ فِي الْعَرَقِ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَىٰ عَقْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَىٰ حَقْوِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إِيَّامًا»^(١).

وجاءَ في «صحيح ابن حبان» من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ

(١) أخرجه أحمد (٣/٦)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب، رقم

(٢٤٢١)، ومسلم بنحوه: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب في صفة يوم القيامة، رقم (٢٨٦٤)،

من حديث المقداد بن الأسود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَرَأَ الْآيَةَ مِنْ سُورَةِ الْمُطَفِّينَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، قَالَ: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ يَتَغَيَّبُ فِي رَشْحِهِ إِلَىٰ أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»^(١).

وَلَنَا أَنْ نَتَصَوَّرَ هَذَا الْمَشْهَدَ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، صِنْفٌ مِنَ النَّاسِ يَفُوزُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَيَكُونُونَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، لَا يُصِيبُهُمْ مَا يُصِيبُ النَّاسِ، وَلَا يَتَأَثَّرُونَ مِنْ دَنُو الشَّمْسِ، هُمْ فِي حَالَةٍ مِنَ الْأَمْنِ، أَذْكَرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْفَائِزِينَ بِظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، وَمُسْلِمٍ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِئْنَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ»^(٢).

هَؤُلَاءِ السَّبْعَةُ يَفُوزُونَ بِظِلِّ الْعَرْشِ، مَنْ كَانَ عَادِلًا فِي حُكْمِهِ، سِوَاهُ كَانَ حَاكِمًا، أَوْ مَسْئُولًا، أَوْ رَئِيسًا، أَوْ وَالِدًا، أَوْ رَاعِيًا فِي رَعِيَةٍ، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُوبًا

(١) صحيح ابن حبان رقم (٧٣٣١). وأخرجه بنحوه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، رقم (٤٩٣٨)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب في صفة يوم القيامة، رقم (٢٨٦٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، رقم (٦٦٠)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إلى عنقه، لا يفكُّه إلا العدل، ويُقي هذا القيدَ في عنقه الجورُ.
والشابُّ الَّذي نشأ في عبادةِ الله، حاربَ هذه النفسَ، ووقفَ في وجهِ هذه
الشَّهوةِ.

وأولئك الَّذين أقاموا علاقتهم في اللهِ.
وآخرُ قلبه كهذهِ القناديلِ مُعلَّق في المسجدِ، يخرجُ من المسجدِ، ولكنَّ قلبه
يهفو إلى المسجدِ.

سبعةٌ قال عنهم ابنُ القيمِ **رَحْمَةُ اللَّهِ** في كتابه «رَوْضةُ الْمُحِبِّينَ»: إذا تَأَمَّلْتَ
السبعةَ الَّذين يُظَلُّهمُ اللهُ في ظلِّ عرشه يومَ لا ظلَّ إلا ظلهُ، وجدتهمُ إنَّما نالوا ذلك
الظلَّ بمُخالفتهمُ الهوى ^(١). انتهى كلامه **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

وفي حديثِ السبعةِ السابقِ تجدُ قاعدةً: «الجزاءُ من جنسِ العملِ» مُتحقِّقةٌ
قائمةٌ ظاهرةٌ، فهو لاءِ السَّبعةِ لما خافوا من اللهِ في الدُّنيا، وجدوا الأمانَ يومَ القيامةِ.
وقال اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** في الحديثِ القدسيِّ: **«وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِينَ
وَأَمْنَيْنِ، فَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمَّنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفَّتُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ»** ^(٢).

يُضافُ إلى هؤلاءِ السَّبعةِ: مَنْ أنظرَ مُعسرًا، أو وضعَ عنه. أي: مَنْ يطلبُ
إنسانًا دينًا، ويأتي الأجلُ، فيقولُ له: يا فلانُ لا أجدُ ما أُسدِّدُ به ديني، فيقولُ له:

(١) روضة المحبين (ص: ٤٨٥).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٦٤٠)، والبيهقي في الشعب رقم (٧٥٩)، من حديث أبي

هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

اذهَبْ إِلَى أَنْ تَتَيَسَّرَ لَكَ الْأُمُورُ. أَوْ يَقُولُ لَهُ: وَضَعْتَ عَنْكَ الدِّينَ.
يَفُوزُ صَاحِبُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَصَاحِبُ هَذَا الْفِعْلِ بِظُلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
فَقَدْ جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْيَسْرِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ»^(١).

وَكَمْ نَعَرَفْنَا مِنَ النَّاسِ مَنْ هُمْ مَحْبُوسُونَ فِي السَّجُونِ، وَمَوْقُوفُونَ عَلَى دِيُونَ
يَسِيرَةٍ، فَلَوْ تَحَرَّكَتْ نَفْسُ هَذَا الْإِنْسَانِ وَإِيْمَانُهُ، وَذَهَبَ الْيَوْمَ، أَوْ غَدًا، وَقَالَ: قَدْ
وَضَعْتُ عَنْ فُلَانٍ دَيْنَهُ. أَخْرَجُوهُ لِيَعِيشَ فَرِحَةَ رَمَضَانَ، وَفَرِحَةَ الْعِيدِ مَعَ أَهْلِهِ،
فَهُنَاكَ مَنْ يُسَجِّنُ عَلَى مَبَالِغِ زَهِيدَةٍ قَلِيلَةٍ.

وَيُضَافُ إِلَى مَنْ سَبَقَ أَيْضًا: الشَّهِيدُ، فَالشَّهَدَاءُ يَفُوزُونَ بِظُلِّ الْعَرْشِ، جَاءَ
عِنْدَ الدَّارِمِيِّ، مِنْ حَدِيثِ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدِ السَّلْمِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«الْقَتْلَى ثَلَاثَةٌ» وَذَكَرَ الْأَوَّلَ فَقَالَ: «مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِذَا لَقِيَ
الْعَدُوَّ، قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ، فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُتَمَحِّنُ فِي خَيْمَةِ اللَّهِ، تَحْتَ عَرْشِهِ، لَا
يُفْضَلُهُ النَّبِيُّونَ إِلَّا بِدَرَجَةِ النَّبَوَّةِ»^(٢). فَهَنِيئًا لَهُوْلَاءِ الشَّهَدَاءِ.

وَيُضَافُ إِلَيْهِمْ أَيْضًا: الْمُتَصَدِّقُونَ، فَالْمُتَصَدِّقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ فِي ظِلِّ
صَدَقَتِهِ، وَكَلَّمَا تَعَاظَمَتِ صَدَقَتُهُ فِي الدُّنْيَا تَعَاظَمَ الظِّلُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَدْ جَاءَ عِنْدَ أَحْمَدَ فِي «مُسْنَدِهِ» مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، رقم (٣٠٠٦).

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٨٥)، والدارمي في السنن رقم (٢٤٥٥).

الله ﷻ قَالَ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ»^(١). هُوَ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ وَالْآخَرُونَ فِي عَرَصَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَيُضَافُ إِلَى مَنْ تَقَدَّمَ أَيْضًا: الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ، وَهُمْ مَنْ أَقَامُوا عِلَاقَتَهُمْ بِالْآخِرِ فِي اللَّهِ، لَا لِمَصْلَحَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ، وَلَا لِعَرَضٍ أَرْضِيٍّ، يُحِبُّونَ فَلَانًا لِلَّهِ، وَيُعَامِلُونَهُ لِلَّهِ، فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ ابْنِ حِبَانَ فِي «صَحِيحِهِ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، يَنْغِبُهُمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»^(٢).

هَذِهِ الْمَكَانَةُ الْعَالِيَةُ اكْتَسَبُوهَا حِينَمَا أَقَامُوا عِلَاقَتَهُمْ بِالْآخِرِ فِي اللَّهِ، لَا لِشَيْءٍ آخَرَ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْفَائِزُونَ بِظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.



(١) أخرجه أحمد (٤/١٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣٢٨)، والترمذي بنحوه: كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، رقم (٢٣٩٠).



(١٨)

الْفَائِزُونَ بِالنُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

•• ❁ ••

تَحَدَّثْنَا فِيهَا مَضَى عَنِ الْفَائِزِينَ بِدُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ، وَالْفَائِزِينَ بِظُلِّ الْعَرْشِ، وَحَدِيثَنَا الْآنَ عَنِ الْفَائِزِينَ بِالنُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَالْعَبْدُ فِي حَاجَةٍ إِلَى النُّورِ، يُبْصِرُ بِهِ الْحَقَّ، وَيُبْصِرُ بِهِ الْحَقَائِقَ، وَمِنْ مَنِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ أَنْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، فَقَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ»^(١). أَيْ: دُونَ الصِّرَاطِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة، رقم (٣١٥)، من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ.

وهنا نستذكر قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُوْرَةِ الْحَدِيْدِ: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُوْرِ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يِنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ قَالِيَوْمَ لَا يُؤَخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَانُكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانُكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٢-١٥].**

فِيُعْطَى الْعَبْدَ الْمُؤْمِنُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي هَذِهِ الظُّلْمَةِ الشَّدِيدَةِ، يَتَمَيَّزُ بِهِ، لَكِنَّ هَذَا النُّورَ لَا يُعْطَى إِلَّا بِقَدْرِ أَعْمَالِهِ فِي الدُّنْيَا.

فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِيُعْطُونَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ»، حَتَّى لَا يَأْتِي مَجْنُونٌ كَمَجَانِينِ الْعَصْرِ، أَوْ مَنْ يَخْلُطُ عَلَى النَّاسِ أَمْرَ دِينِهِمْ، وَيَقُولُ: الْإِيْمَانُ فِي الْقَلْبِ، وَلَا نَحْتَاجُ إِلَى عَمَلٍ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِيُعْطُونَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ كَالْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ كَالنَّخْلَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ»^(١).

فِيُعْطُونَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا. وَهُنَاكَ سَبْعَةُ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ يَفُوزُونَ بِالنُّورِ فِي الدُّنْيَا، فَيُصِرُّونَ بِهِ الْحَقَّ،

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/٣٥٨ - ٣٥٩، رقم ٩٧٦٣)، والحاكم في المستدرک (٢/٣٧٦)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَيَفُوزُونَ بِهِ فِي قُبُورِهِمْ، وَحِينَ يُبْعَثُونَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمْ:
 الصنفُ الْأَوَّلُ: أَهْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الَّذِينَ قَالُوهَا، وَعَاشُوا عَلَيْهَا، وَمَاتُوا عَلَيْهَا.
 فَقَدَ جَاءَ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» مِنْ حَدِيثِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ
 لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَا
 يُقُولُهَا رَجُلٌ عِنْدَ حَضْرَةِ الْمَوْتِ إِلَّا وَجَدَ لِرُوحِهِ رَوْحًا حِينَ تَخْرُجُ مِنْ جَسَدِهِ،
 وَكَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: فَلَمْ أَسْأَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا، وَلَمْ يُجِبْ بِنِي عَن
 هَذِهِ الْكَلِمَةِ. فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَنَا أَعْلَمُهَا. قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَمَا هِيَ؟ قَالَ:
 الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا لِعَمِّهِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، قَالَ طَلْحَةُ: صَدَقْتَ ^(١).

فَأَهْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» يَفُوزُونَ بِالنُّورِ.

وَالْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ الَّذِي عَاشَ عَلَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» يُنَوَّرُ لَهُ فِي أَوَّلِ نَقْلَةٍ يَنْتَقِلُ فِيهَا
 مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ، فَقَدَ جَاءَ فِي «صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَ لَنَا حَالَ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، فَقَالَ: «يَأْتِيهِ مَلَكَانِ،
 فَيَسْأَلَانِهِ»، وَمِنْ جُمْلَةٍ مَا يُسْأَلُ، يُسْأَلُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولُ: «هُوَ عَبْدُ اللَّهِ
 وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ -أَيُّ:
 الْمَلَكَانِ-: إِنْ كُنَّا لِنَعْلَمُ إِنَّكَ لَتَقُولُ ذَلِكَ. ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي
 سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ» ^(٢).

(١) أخرجه أحمد (٢٨/١)، وابن ماجه بنحوه: كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، رقم (٣٧٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم (١٠٧١)، وابن حبان في صحيحه رقم (٣١١٧).

والشاهد: «وَيُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ»، والعبء في حاجة إلى النور، فلو أَسَكَّنْتَ عبداً في قصرٍ، لكنَّه مُظْلَمٌ، ما عاش فيه، فكيف في قبرٍ؟! ولكنَّ العبدَ المؤمنَ الَّذي عاش على «لا إلهَ إلاَّ اللهُ» يُنَوِّرُ له في أوَّلِ نَقْلَةٍ يَنْتَقِلُ فِيهَا إِلَى دَارِ الآخِرَةِ.

الصَّنْفُ الثَّانِي: أهلُ الصَّلَاةِ الْمُحَافِظُونَ عَلَيْهَا، الَّذِينَ ضَبَطُوا سَاعَةَ أَوْقَاتِهِمْ بِمَوَاعِيدِ الصَّلَاةِ، وَتَعَلَّقَتْ قُلُوبُهُمْ بِهَا، وَحَافَظُوا عَلَيْهَا، فَلَمْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهَا شَيْئاً.

فَقَدْ جَاءَ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا، فَقَالَ: «مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَأَبِي بَنْ خَلْفٍ»^(١).

بل جَاءَ مَا هُوَ أَوْضَحُ مِنْ ذَلِكَ فِي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

فَلْيُبَشِّرْ بهذا الكرمِ الإلهيِّ أَوْلِيكَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ بُيُوتِهِمْ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، نُورًا تَامًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الصَّنْفُ الثَّلَاثُ مِنَ الْفَائِزِينَ: أَهْلُ الْقُرْآنِ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ مِنْهَجَ حَيَاةٍ،

(١) أخرجه أحمد (١٦٩/٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة، رقم (٧٨١). وأخرجه أبو داود:

كتاب الصلاة، باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلام، رقم (٥٦١)، والترمذي، كتاب

الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في جماعة، رقم (٢٢٣)، من حديث بريدة

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَرُّوهُ وَتَعَلَّمُوهُ، وَعَمِلُوا بِهِ، فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ أَلْسِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ ضَوْؤُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يَتَقَوْمُ بِهِمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَا كُسِينَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ»^(١).

لَكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ تَاجًا مِنْ نُورٍ ضَوْؤُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، يُكْسَاهُ هَذَا الَّذِي قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِهِ، وَتَعَلَّمَهُ، وَاسْتَفَادَ مِنْ تَعَلُّمِهِ لِلْقُرْآنِ وَالِدَاهُ، فَهَيِّنًا لِمَنْ عَاشَ مَعَ الْقُرْآنِ.

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَادِرًا عَلَى أَنْ تَكُونَ مِنَ الْحَافِظِينَ لِلْقُرْآنِ، فَلَيْسَ أَقْلٌ مِنْ أَنْ تَكْفَلَ مُعَلِّمًا لِلْقُرْآنِ، فَكَلِّمًا عِلْمَهُمْ حَرْفًا، كَانَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِكَ، وَكَلِّمًا قَرُّوْا بِهِ فِي حَيَاتِهِمْ، كَانَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِكَ، فَلَوْ كَفَلْتَ مُعَلِّمًا لِلْقُرْآنِ فِي بِلَادٍ تَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ، كَانَ لَكَ نَصِيبٌ مِنْ هَذَا النُّورِ، وَكَانَ لَوَالِدَيْكَ كَذَلِكَ.

الصَّنْفُ الرَّابِعُ: أَهْلُ الْإِخْلَاصِ، فَالْمُخْلِصُونَ لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَهُمْ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالصَّادِقُونَ بِمَكَانِهِمْ»^(٢).

وَلَكَّ أَنْ تَتَصَوَّرَ كَيْفَ يَكُونُونَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، لَيْسَتْ مَنَابِرٌ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ حَجَرٍ كَرِيمٍ، أَوْ عَاجٍ، أَوْ غَيْرِهِ، بَلْ هِيَ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/٥٦٧).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣٢٨)، من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الصف الخامس من الفائزين بالنور يوم القيامة: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة، فمن قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أعد الله له نوراً يوم القيامة، جاء في «شعب الإيمان» عند البيهقي، من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، أضاء له من النور من مكانه إلى البيت العتيق»^(١).

الصف السادس: أهل الجهاد، فالذين يجاهدون في سبيل الله جعل الله تبارك وتعالى لهم نوراً يوم القيامة.

قال رسول الله ﷺ: «من رمى بسهم في سبيل الله» ليس في سبيل الشيطان، أو الحزب أو التنظيم، أو الهوى، أو الشهرة، وإنما في سبيل الله. فهنيئاً للذين يرابطون على الحدود في سبيل الله، نصرته لدينهم، وحمايته لأوطانهم المسلمة، هنيئاً لهم كلما رموا بسهم، كان لهم نوراً يوم القيامة.

الصف السابع: أهل الجمعة المحافظون عليها، الذين ضبطوا جدول مواعيدهم بصلاة الجمعة، لا يشغلون هذا الوقت إلا بها، إن كانوا في عمل أو في رحلة، أو في شيء غير ذلك، ربطوه بصلاة الجمعة، فقد جاء عند الحاكم في «مستدركه» من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيأتها، ويبعث الجمعة زهراء منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها، تضيء لهم، يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضاً، ويريحهم يسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان،

(١) أخرجه الدارمي في السنن رقم (٣٤٥٠)، والبيهقي في الشعب رقم (٢٧٧٧).

لَا يُطْرَقُونَ تَعَجُّبًا حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، لَا يُجَالِطُهُمْ أَحَدٌ إِلَّا الْمُؤَدِّنُونَ الْمُحْتَسِبُونَ»^(١).
هؤلاء هم أهل الجمعة، الذين حافظوا عليها، فلم يسمَعوا المؤدِّنَ ينادي
وهم نيام، أو يُقيموا فعاليتهم ويطولاتهم ومسابقاتهم يوم الجمعة، إنَّما حافظوا
عليها، فهؤلاء هم أهل الجمعة الذين تُضيء لهم، ويمشون في ضوئها.



(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه رقم (١٧٣٠)، والحاكم في المستدرک (٢٧٧/١)، والبيهقي في الشعب رقم (٢٧٧٩).



(١٩)

الفَائِزُونَ بِجَنَاتِ النَّعِيمِ

•• ❁ ••

تَحَدَّثْنَا فِيهَا مَضَى عَنِ الْفَائِزِينَ بِدَعَاءِ الْمَلَائِكَةِ، وَالْفَائِزِينَ بِظِلِّ الْعَرْشِ،
وَالْفَائِزِينَ بِالنُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَالآنَ أُتَوِّجُ هَذَا بِالْحَدِيثِ عَنِ الْفَائِزِينَ بِالْجَنَّةِ، أَوْلَيْكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ
وَعَدَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَوَعَدُهُ حَقٌّ - بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ
ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْقَرُوا رِهْمَ لُحْمٍ عُرفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرفٌ مَّبِينَةٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

فَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ الْمُلتَزِمِينَ بِأَمْرِ الْجَنَّةِ، وَدُخُولَهُمْ
الْجَنَّةَ تَفْضُلًا وَكِرَامًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

قَالَ: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ»^(١).

وَالفَائِزُونَ بِالْجَنَّةِ مَجْمُوعَاتٌ مُتَعَدَّدَةٌ، مِنْهَا:

المجموعة الأولى: الطائِعُونَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَأَعْمَالِ جَوَارِحِهِ، وَأَعْمَالِ قَلْبِهِ؛ كَافَاهُ اللَّهُ بِالْجَنَّةِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].
وَجَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟
قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»^(٢).

فَالَّذِي يُبَارِزُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْمَعْصِيَةِ كَأَنَّهُ يَقُولُ: أَنَا أأْبَى دُخُولَ الْجَنَّةِ.

المجموعة الثانية: التَّائِبُونَ، الْعَائِدُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَكُلَّمَا حَقَّقَتْ تَوْبَةً

(١) أخرجه البخاري: كتاب المرضى، باب تمنى المريض الموت، رقم (٥٦٧٣)، ومسلم: كتاب صفة القيامة، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، رقم (٢٨١٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم (٧٢٨٠).

بعد ذنبٍ، فاعلم أنك موعودٌ بجنةٍ عرضها السمواتُ والأرضُ، ومن منّا بلا ذنبٍ أو خطيئةٍ، فإذا وقعت في الذنبِ أو الخطيئةِ، فأحدث توبةً نصوحًا، وهي توبةٌ صورتها أن تندمَ بعد الذنبِ، ثم تستغفرَ لما وقع منك من ذنبٍ، ثم تعزمُ على ألا تعودَ إليه، ثم تجعلَ توبتكِ لله لا لغيره.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا

يُظَلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٠].

وقال سبحانه وتعالى في موضعٍ آخر: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

المجموعة الثالثة: الصادقون المخلصون، في أقوالهم، وأفعالهم، وحركاتهم، ووقوفهم وصمتهم، وإذا أعطوا، أو امتنعوا، صادقون في مشاعرهم، لا يمثّلون، لا يراؤون، إن صلّى أحدهم أو صام، أو نصح فهو صادق، وإن تكلم تكلم وهو مُخلص، وإن سكت سكت بإخلاص.

قال الله سبحانه وتعالى عن هذا الصنف: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠) ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ

رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ (٤١) ﴿فَوَكَهَهُمْ مَّا كَرُمُونَ﴾ (٤٢) ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ (٤٣) ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (٤٤) ﴿يُطَافُ

عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ (٤٥) ﴿بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ (٤٦) ﴿لَا فِيهَا عَوَلَ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ﴾

(٤٧) ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ (٤٨) ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصفات: ٤٠-٤٩]. هذا

جزاؤهم عند الله تبارك وتعالى.

المجموعة الرابعة: المُحَافِظُونَ عَلَى صَلَاتِهِمْ، الَّذِي يُصَلِّي بِحَسَبِ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، لَا يُصَلِّي شَهْرًا وَيَدَعُ شَهْرًا، أَوْ يُصَلِّي بِنَاءً عَلَى مَزَاجِهِ وَوَقْتِهِ، أَوْ إِذَا تَفَرَّغَ، بَلِ الصَّلَاةُ عِنْدَهُ لَهَا شَأْنٌ عَظِيمٌ.

فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩-١١].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٤-٣٥].

وجاء في «صحيح البخاري» أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»^(١).

المجموعة الخامسة: الحافظون لأستيتهم وفروجهم عن الحرام، فهؤلاء موعودون بجنة عرضها السموات والأرض، فقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ»^(٢).

وقال أيضًا ﷺ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا أَضْمَنَ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اضْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أُوْمِنْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَعُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم (٢٧٩٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم (٦٤٧٤)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٣٢٣/٥)، وابن حبان رقم (٢٧١)، من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ضمانٌ من الله ورسوله لئن أتى بهذه الستِّ، أن تكون له الجنةُ.
 المجموعة السادسة: الصابرون، المحتسبون، المبتغون الأجر من الله، وهم
 من يصبر على الأذى، والعنتِ والجهدِ والضيقِ والمرضِ والفقرِ، قال الله
 سُبحانه وتعالى: ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا
 شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ أَطْفُوفُهَا نَدِيمًا ﴿ [الإنسان: ١٢-١٤].
 وجاء عند ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ابْنُ آدَمَ إِنْ
 صَبَرَتْ وَاحْتَسَبَتْ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى، لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ»^(١).
 المجموعة السابعة: الممسكون عن إيذاء الخلق، ليس لهم من العمل إلا أنهم
 أمسكوا وامتنعوا عن إيذاء الآخرين.

وخير ما يُستشهد به في هذا المقام، ما جاء في كتاب «الأدب المفرد» للإمام
 البخاري رحمه الله، أن النبي ﷺ سئل عن امرأة تقوم الليل -أي: نافلة في غير
 رمضان- وتصوم النهار -أي: في غير رمضان- وتفعل -أي: وتفعل الخيرات-
 وتتصدق، وتؤدي جيرانها بلسانها؛ فقال ﷺ حاكما عليها: «هي في النار». ثم سئل
 عن امرأة أخرى تصلي المكتوبة، ليس عندها نوافل إلا القليل، وصدقها
 قليلة، ولا تؤدي جيرانها بلسانها، فقال ﷺ: «هي في الجنة»^(٢).

فالعبرة من هذه العبادات؛ صيامنا، وقيامنا، وصدقاتنا، وإحساننا، أن

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، رقم (١٥٩٧)، من حديث
 أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٤٤٠/٢)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (١١٩)، من حديث أبي هريرة
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يَنعكس ذلك على أخلاقنا وسلوكنا مع الآخرين، فإنَّها لما آذت جيرانها كانت من أهل النار، ولما امتنعت عن إيذاء جيرانها كانت من أهل الجنة.

هذه سبعُ مجموعاتٍ، وعدّها اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** بجنةٍ عرضها الأرض والسّمواتُ، فأين المشمّرون، الساعون، الباغون الفوزَ بهذا الأمرِ العظيمِ؟.





(٢٠)

وزين لهم الشيطان أعمالهم



ما منّا من أحدٍ إلّا وهو يُدركُ تمامًا، ويحرصُ دائمًا إلّا يكون في حياته أعداء؛ لأنّ وجودَ الأعداءِ في حياتنا يجلبُ الهمَّ والغمَّ، ويشغلُ البالَ ويكدرُ خاطرَ، ولكنّ هناكَ عدوٌّ لا فكاكَ من عداوته، ذلكم هو الشيطانُ الرجيمُ.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَأْنِهِ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾** [فاطر: ٦].

وعدونا الرجيمُ ملازمٌ لنا على الدوام، فقد قال رسولُ الله ﷺ: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ**

يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ» ^(١).

وعداوته ظاهرةٌ بيّنة، وهو يستعملُ في إغوائه لبني آدمَ أساليبَ وطرائقَ

متعددة، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَأْنِهَا؛ مَبِينًا مَا قَالَهُ الشَّيْطَانُ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ**

الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ

شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

وإنّ من أخطرِ وسائلِ وأساليبِ الشيطانِ التي يَستَخدمُها في إغواءِ بني

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٢٨١)، ومسلم: كتاب

السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة، رقم (٢١٧٥)، من حديث أم المؤمنين

صفية بنت حيي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**.

الإنسان تزوين الباطل، وتقيح الحسن، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ مبيناً ما قاله الشيطان الرجيم: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ **الْمُخْلِصِينَ**﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠]. أي: سأجعلهم يرون الحسن قبيحاً، والقبيح البيّن حسناً، فينفرون من الحسن بعد أن رأوه قبيحاً، وينجذبون إلى القبيح بعدما زوّين لهم فرأوه حسناً.

وصور ذلك متعددة، أبيتُ بعضها:

الصورة الأولى: تزوين الكفر، وهو أعظم هذه الصور على الإطلاق، وإلا كيف يُعقل بإنسانٍ سليم الفطرة يعبد البقر، أو يعبد الشجر، أو يعبد الحجر، أو يعبد ما قدر من الأشياء.

كيف زوّين لهؤلاء أن يعبدوا أصناماً صنعوها بأيديهم، إذا جاع أحدهم أكل ما صنع؟! ولكنه التزوين.

لذا لما تفقد سليمان عليه السلام الهدى، وسمع منه الإجابة، قال: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَايِبِينَ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٢-٢٣] إلى أن قال: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤].

سجدوا لمخلوقٍ مثلهم وهي الشمس، يرونها تشرق وتغيب، ومع ذلك عبدوها، وما ذلك إلا من تزوين الشيطان، الذي قال الله في شأنه: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۗ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾** [محمد: ٢٥].

إنَّها الوسيلةُ الأخطرُ، فالعاقلُ منَّا لا بدَّ أن يُحصِّنَ نفسه من هذا البابِ.

الصورةُ الثانيةُ: تزيينُ القتلِ، ومن أخطرِ الأشياءِ بعدَ الكفرِ باللهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، إزهاقُ النفسِ، فكيفَ زُيِّنَ للإنسانِ أن يقتلَ أخاهُ؟! بل كيفَ زُيِّنَ للإنسانِ أن يقتلَ أقربَ قريبٍ، وهوَ ولدهُ؟! وما ذلكَ إلاَّ لأنَّه غفلَ عن تحصينِ نفسه.

قالَ اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾** [الأنعام: ١٣٧]، أي: زَيَّنَ لَهُم شياطينَهُم قتلَ أولادِهِم، فيأتي هذا الإنسانُ الَّذي كَرَّمَهُ اللهُ بالعقلِ، والفترةِ السليمةِ، فيقتلُ ولدهُ.

وقد سَمَّاهُ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** تزيينًا فقالَ: **﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾** [الأنعام: ١٣٧].

الصورةُ الثالثةُ: تزيينُ الرأيِ على الوحيِ، والعقلِ على النقلِ، والهوى على الشرعِ، فيأتي الشيطانُ ويُزيِّنُ لهذا الإنسانِ من أجلِ أن يُغويه، يُزيِّنُ له الرأيِ، ويقولُ: هذا الحكمُ الشرعيُّ لا يتوافقُ معَ الرأيِ، أو لا يتوافقُ معَ العقلِ، أو لا يتوافقُ معَ الهوى، فيجعلُه ينحرفُ، والأصلُ أنَّ الإنسانَ مأمورٌ باتِّباعِ الوحيِ لا الرأيِ، وبالاستِمساكِ بالنقلِ لا العقلِ، وباتِّباعِ الشرعِ لا الهوى.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِىَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءِهِمْ لِيُجَدِّدَ لَكُمْ﴾**

[الأنعام: ١٢١].

وقال سبحانه: **﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾**، أي: إلهه الذي يعبدُه هوَ

الهوى، والمزاج، والرأى **﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾** [الفرقان: ٤٣].

وقال سبحانه: **﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَمْرٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ**

وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًّا فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

الصورة الرابعة: التلاعب بالحقائق وتوصيفها، وانظر كيف فعل الشيطان

الرجيم بأبينا آدم عليه السلام، ومن بعده ذريته، بعدما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لآدم

وحواء عليهما السلام: هاهي الجنة أمامكم، كلوا ما شئتم، واشربوا ما شئتم،

وتمتعوا فيها بما شئتم، ولكن شجرة واحدة لا تقربوها؛ أتى الشيطان فبجح كل ما

في الجنة، وزين لهم هذه الشجرة.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَتَادَمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا**

تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩) فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما

من سوءتهما وقال ما نهكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين

﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩ - ٢١]. فجعل هذا التزيين

للإقدام على هذه الشجرة الممنوعة.

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في سورة طه، بعد أن بين له أن له الجنة وما فيها، قال

له: فوسوس له الشيطان، وقال: **﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَادَمُ هَلْ**

أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةٍ﴾ [طه: ١٢٠].

فَتَغْيِيرُ الْحَقَائِقِ وَالتَّلَاعِبِ بِهَا مِنْ بَابِ التَّرْيِينِ، هِيَ شَجَرَةٌ مَلْعُونَةٌ، سَمَّاهَا الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ: شَجَرَةٌ الْخُلْدِ.

مَثَلًا نَفَعَلُ الْيَوْمَ، جِئْنَا إِلَى الرَّبِّ، فَسَمَّاهُ لَنَا شَيْطَانُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ: فَوَائِدُ بَنَكِيَّةٌ. وَجِئْنَا إِلَى الزَّوْنِ، فَقُلْنَا عَنْهُ: عِلَاقَةٌ جِنْسِيَّةٌ. وَجِئْنَا إِلَى قِلَّةِ الْحِيَاءِ، وَالتَّعَرِّيِّ، فَقُلْنَا: انْفِتَاحٌ، وَحُرِّيَّةٌ. وَجِئْنَا إِلَى الْإِنْدِفَاعِ وَالتَّهَوُّرِ، فَقُلْنَا: شَجَاعَةٌ. وَجِئْنَا إِلَى الْخَوْفِ وَالجُبْنِ وَالجُورِ، فَقُلْنَا: حِكْمَةٌ.

فَالْتَّلَاعِبُ بِالْحَقَائِقِ وَتَوْصِيْفُهَا سَبِيلٌ مِنْ سُبُلِ إِغْوَاءِ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ، الَّذِي يَمْشِي فِي عُرُوقِنَا كَالدَّمِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْحَذَرِ.

جَاءَ عِنْدَ النَّسَائِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرَقِهِ» أَي: بِجَمِيعِ الطَّرِيقِ «فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ: تُسَلِّمُ وَتَدْرُدِينَا وَدِينَ آبَائِكَ وَأَبَاءِ أَبِيكَ؟! فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ، فَقَالَ لَهُ: تُهَاجِرُ وَتَدْعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطَّوْلِ؟! فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ فِي طَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ لَهُ: تُجَاهِدُ فَهَوَّ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةَ، وَيُقَسَّمُ الْمَالُ؟! فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ».

قَالَ ﷺ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»^(١).

هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَامَلَ الْمُسْلِمُ مَعَ هَذَا التَّلَاعِبِ بِالْحَقَائِقِ وَتَوْصِيْفِهَا، وَتَغْيِيرِ

(١) أخرجه أحمد (٤٨٣/٣)، والنسائي: كتاب الجهاد، باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد، رقم

(٣١٣٤)، من حديث سبرة بن أبي فاكه رَوَى اللَّهُ عَنْهُ.

المفاهيم والتصورات، فقد أرادَ الشيطانُ أن يُغيِّرَ مفهومَ الإسلامِ، ومفهومَ الهجرة، ومفهومَ الجهادِ.

فالعاقلُ الحصيفُ هو الَّذي يَقِفُ بالمرصادِ أمامَ هذا التلاعبِ وهذا التزيينِ، مُستعيناً باللهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** على إغواءِ الشيطانِ الرجيمِ.





(٢١)

كيف تحصن نفسك من الشيطان الرجيم؟



تحدثنا فيما مضى عن الشيطان الرجيم، وخطره، ووسائله في إغواء بني آدم، وحديثنا الآن: كيف يُحصن الإنسان نفسه من الشيطان الرجيم؟ وكيف يجعل نفسه في مأمن من نزغات الشياطين، وكيدِه ومكرِه وخداعِه؟

لا يمكن أن يُحصن الإنسان نفسه من نزغات الشيطان الرجيم إلا وفق ما أمر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، ووفق ما جاء في هدي النبي **ﷺ**، لكن قبل أن نبدأ في بيان هذه الحروز، نذكر بآيتين عظيمتين:

الأولى ما جاء في سورة الأعراف، في بيان ما توعد به الشيطان الرجيم، حينما قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

وفي سورة النساء بين الله تعالى ماذا قال الشيطان الرجيم، فقال: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨]، أي: عددًا معينًا سيقع في شراكي وإغوائي. وجاء في بعض التفاسير أن في كل ألفٍ لن يسلم إلا واحد، وتسع مائة وتسع وتسعون ينجر فون مع نزغات الشياطين ﴿وَلَا ضَلَّ لَهُمْ وَلَا مَنِينَ لَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مِرْيَةَ فُلَيْغِيْرَتِ خَلْقِ﴾

اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿

[النساء: ١١٨-١١٩].

ولم يتركنا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أمام هذا التهديد، والوعيد، وهذه القوة الغاشمة، والعداوة الظاهرة البيّنة، بل قال: دونكم هذه الحروزَ والحصونَ، مَنْ تَحَصَّنَ بِهَا كَانَ فِي مَأْمِنٍ مِنْ نَزَاغَاتِ الشَّيْطَانِ؛ فما هذه الحصونُ؟

الحصنُ الأوَّلُ: إخلاصُك في قولك وعملك، فعلى قدرِ إخلاصِكَ تنجو من الشيطانِ الرجيم، والقاعدةُ تقولُ: لا خلاصَ إلا بالإخلاصِ، وهذه القاعدةُ نقرؤها في موضعين من كتابِ الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: في سورة الحجر، وفي سورة ص.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في السورة الأولى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠]، فالْمُخْلَصُونَ لا يَقَعُونَ فِي شِرَاكِ الشَّيْطَانِ، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤١-٤٢].

وفي سورة (ص) قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٧٩-٨٣].

فالْمُخْلَصُ يَنْجُو، وَيُؤَمِّنُ نَفْسَهُ فِي حِصْنٍ عَظِيمٍ، فَاجْعَلْ قَوْلَكَ لِلَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وَحِينَ تَسْكُتُ تَسْكُتُ لِلَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وَحِينَ تَنْصَحُ تَنْصَحُ لِلَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وَحِينَ تَأْمُرُ بِمَعْرُوفٍ وَتَنْهَى عَنِ مُنْكَرٍ فَاجْعَلْهُ لِلَّهِ، وَإِذَا أُعْطِيتْ

فاجعل عطاءك لله، وإذا أخذت أو منعت فاجعل أخذك ومنعتك لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.
 الحصن الثاني: احرص على أن تكون في جماعة، وأن تُجنب نفسك العزلة والانطواء والتفرد؛ فإن الشيطان أسهل ما يكون عليه المنعزلون، الذين يُحبون الانطواء والتفرد، فالذي ينعزل سواءً في مجلسه، أو وسط أسرته، فلا يحب الناس، ولا يجلس معهم، أو ربما اتخذ فكراً فترك الجماعة، ويعيش مع هذا الفكر، قد يصور له الشيطان أنه هو على الحق، والناس كلهم على باطل، فيجمع له اثنين أو ثلاثة أو أربعة ويعتزل، هذا وسيلة الشيطان.

وقد قال رسول الله ﷺ: **«عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بِحُبُوحَةِ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ»** (١).
 فالحذر الحذر من الانزواء والانطواء والتفرد والعزلة، فهأنا يصطاد الشيطان فرائسه.

لذا جاء في «سنن ابن ماجه» من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أن رسول الله ﷺ قال: **«الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»** (٢).

الحصن الثالث: عليك بالاستعاذة بالله منه، والاستعاذة تعني الالتجاء والاحتباء، فالإنسان الخائف، الذي يحرص على أن يحرز نفسه من الأخطار، يلجأ ويحتمي بالواحد القهار **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

(١) أخرجه أحمد (٢٦/١)، والترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم (٢١٦٥)،

من حديث عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه أحمد (٤٣/٢)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم (٤٠٣٢).

وانظر هذه المواضع المتعددة التي أمرنا الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فيها بالاستعاذة به من الشيطان الرجيم:

الموضع الأول: عند قراءة القرآن، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿٩٨﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٩﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠١﴾** [النحل: ٩٨-١٠٠].

الموضع الثاني: إذا دخلت المسجد، جاء عند أبي داود في «سننه» أن رسول الله **ﷺ** قال: **«إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ»** (١).
لذا الوقاية خيرٌ من العلاج، أي: أن يقي الإنسان نفسه من شر الشياطين، خيرٌ من أن يقع في مصيدة الشيطان، ثم يقول: أخرجوني. ويذهب للمشعوذين والسحرة والكهّان، وأشباه القراء الذين يحدعون الناس.

الموضع الثالث: في الصلاة، فإذا قُمت تُصلي فجاءك الشيطان فتعوذ بالله من شره، جاء في «صحيح مسلم»: **جاء عثمان بن أبي العاص إلى النبي **ﷺ**، قال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، يلبسها عليّ -أي: يشوش عليّ، فلا أدري كم قرأت، أو كم صليت- قال **ﷺ**: «ذَٰكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ -أو خَنْزَبٌ-، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَانْفُلْ عَلَى يَسَارِكَ»** قال

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد، رقم (٤٦٦)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص **رضي الله عنهما**.

عُثْمَانُ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي ^(١). والعاقِلُ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا.
الموضعُ الرابعُ: عندَ الغضبِ، فإذا أغضبكَ أهلُ بيتك: زوجتُك، أو أولادُك، أو خادمُك، أو عاملُك، فقل: أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.
كذا إذا أغضبكَ مَنْ بجوارِكِ في الصلاةِ فقل: أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. تَكُنْ في مَأْمِنٍ مِنْ شَرِّهِ.

قال اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [الأعراف: ٢٠٠].

وقال سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ: **﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [فصلت: ٣٦].

وقد استَبَّ رَجُلَانِ فِي مَجْلِسِ النَّبِيِّ ﷺ، حَتَّى غَضِبَ أَحَدُهُمَا غَضَبًا شَدِيدًا، قَالَ الرَّاوي: (فاحمرَّت عيناهُ، وانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ)، فَقَالَ ﷺ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى هَذَا الشَّكْلِ، وَإِلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ» ^(٢).

الحصنُ الرابعُ: مِنَ الْحُرُوزِ أَيضًا: أَنْ تَقُولَ: (بِسْمِ اللَّهِ)، فَإِنَّهَا قَوِيَّةٌ عَلَى الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَتَدْمِغُهُ دَمْعًا شَدِيدًا، فَإِذَا قُلْتَ: (بِسْمِ اللَّهِ) فَقَطْ، لَيْسَ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، رقم (٢٢٠٣)، من حديث عثمان بن أبي العاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم (٦١١٥)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم (٢٦١٠)، من حديث سليمان بن صرد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

الرحيم)، فَإِنَّهَا تَفْعَلُ الْأَفَاعِيلَ مَعَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.
جاءَ في «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: أَنَّ أَحَدَ الصَّحَابَةِ كَانَ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى دَابَّةٍ،
فَتَعَثَّرَتِ الدَّابَّةُ، فَقَالَ هَذَا الرَّدِيفُ: تَعَسَّ الشَّيْطَانُ. وَهَذَا خَطَأً.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُلْ: تَعَسَّ الشَّيْطَانُ. فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ»
أَي: اغْتَرَّ بِنَفْسِهِ «حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُهُ. وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ
اللَّهِ. فَإِنَّهُ يَتَصَاغَرُ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»^(١).

وَمِنْ مَوَاضِعِ ذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ أَيْضًا مَا جَاءَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا
خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ، فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.
قِيلَ لَهُ: كُفَيْتَ، وَوُقِيَتْ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ»^(٢).

كَذَلِكَ إِذَا خَلَعَ أَحَدُنَا ثَوْبَهُ، فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، سَلِمَ مِنْ نَظْرِ الْجِنِّ إِلَيْهِ
وَالشَّيَاطِينِ، جَاءَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي «مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَتْرُ
مَا بَيْنَ عَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ وَالْجِنِّ، إِذَا وَضَعَ أَحَدُهُمْ ثَوْبَهُ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ»^(٣).
وَالْحُرُوزُ كَثِيرَةٌ، وَهِيَ سَهْلَةٌ مَيْسِرَةٌ، وَفِي مُتَنَاوَلِ الْيَدِ، لَكِنَّ الْأَخَذَ بِهَا قَلِيلٌ،
وَالْمَنْصَرَفَ عَنْهَا كَثِيرٌ.

وَأَعْظَمُ الْحُرُوزِ أَنْ تَذَكَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَالْعَبْدُ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ أَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَمَا الِاسْتِعَاذَةُ وَالْبَسْمَلَةُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ إِلَّا ذِكْرٌ.

(١) أخرجه أحمد (٥٩/٥)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي، رقم (٤٩٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته، رقم (٥٠٩٥)، والترمذي:

كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته، رقم (٣٤٢٦)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٧٠٦٦)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جاء في «مُصَنَّفِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ» عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: الشَّيْطَانُ جَائِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسَوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ ^(١).
وأعظمُ الذِّكْرِ أن يَقُولَ العَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ،
وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَهَا فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدَلُ عَشْرِ رِقَابٍ،
وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ
ذَلِكَ حَتَّى يُمِيتَ» ^(٢).

فالعاقلُ هو الَّذِي يُحِرِّزُ نَفْسَهُ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيَاطِينِ، حَتَّى يَكُونَ فِي مَأْمَنٍ
وَهُوَ يُقِيمُ طَاعَةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.



(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف رقم (٣٧٥٠)، وابن أبي شيبة في المصنف رقم (٣٥٩١٩)، وأبو داود في الزهد رقم (٣٣٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٢٩٣)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم (٢٦٩١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(٢٢)

ضوابط الترفيه



من فضل الله تبارك وتعالى علينا أن جعل ديننا الذي ارتضاه لنا، ديناً شاملاً
لأحكامه في جميع جوانب الحياة.

فقال سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ

لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ

أُمَّةٍ لَكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ تُرَى إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ومن هذه الجوانب المهمة، التي عُنيت بأحكام هذا الدين الشامل، جانبُ

الترفيه والترويح عن النفس، هذا الجانب المهم في حياة الناس.

والترفيه عن النفس مطلبٌ يحتاجه كلُّ الناس، فجاء هذا الدين، وبسطَ

حُكمه على هذا الجانب، وهو يعني: إدخال السرور على النفس، وتُحفيزها

وتنشيطها للعبادة.

قال حنظلة رضي الله عنه، بعد أن خرج يوماً من بيته، وقد ارتاب من نفسه شيئاً،

فوجد أبا بكر رضي الله عنه، فقال: يَا أَبَا بَكْرٍ نَافِقٌ حَنْظَلَةُ. قَالَ: وَمَا ذَلِكَ؟ قَالَ: نَكُونُ

مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَيُحَدِّثُنَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَكَأَنَّنا نَرَاهَا رَأْيِي عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى أَهْلِنَا،

وَعَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، أَنْكَرْنَا ذَلِكَ، وَنَسِينَا ذَلِكَ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ:
إِنِّي لِأَجْدُ ذَلِكَ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَانْطَلَقَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ عَنْ هَذِهِ الْحَالَةِ الَّتِي تَعْتَرِيهِمْ، قَالَا: نَكُونُ
مَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَيَرْتَفِعُ الْإِيمَانُ، حَتَّى كَأَنَّا نَرَى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، لَكِنَّا إِذَا خَرَجْنَا
مِنْ عِنْدِكَ انْخَفَضَ مُسْتَوَى الْإِيمَانِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا.

فَقَالَ ﷺ، وَهُوَ يُؤْصَلُ لِهَذَا الْأَمْرِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدَوُّمُونَ كَمَا
تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرْفِكُمْ، وَلَكِنْ
يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً»^(١). أَي: سَاعَةً لَا بُدَّ لِلنَّفْسِ مِنْهَا، وَهِيَ سَاعَةُ الْاسْتِجْهَامِ،
وَالْتَرْوِيحِ، وَالتَّرْفِيهِ.

قَالَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَوَّحُوا الْقُلُوبَ، فَإِنَّهَا إِذَا
أُكْرِهَتْ عَمِتْ^(٢). أَي: أُصِيبَتْ بِالْإِعْيَاءِ وَالتَّعَبِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَجْمُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ فَإِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ^(٣).

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَوَّحُوا الْقُلُوبَ، وَابْتَغُوا لَهَا طُرْفَ الْحِكْمَةِ، فَإِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ
الْأَبْدَانُ^(٤).

(١) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر، رقم (٢٧٥٠)، من حديث حنظلة
الأسدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) إحياء علوم الدين (٢/٣٠).

(٣) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق رقم (٧١٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم رقم
(٦٥٩).

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي رقم (١٣٨٩).

وفي كتاب «الآداب الشرعية» لابن مفلح **رَحِمَهُ اللهُ** قول جميل، قال: وَالْعَاقِلُ -أي: الجادُّ الرزينُ- إِذَا خَلَا بِزَوْجَاتِهِ وَإِمَائِهِ، تَرَكَ الْعَقْلَ فِي زَاوِيَةِ كَالشَّيْخِ الْمُوقَّرِ وَدَاعَبَ وَمَازَحَ وَهَازَلَ؛ لِيُعْطِيَ الزَّوْجَةَ وَالنَّفْسَ حَقَّهُمَا، وَإِذَا خَلَا بِأَطْفَالِهِ خَرَجَ فِي صُورَةِ طِفْلٍ^(١).

لذا قال أمير المؤمنين عمر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ فِي أَهْلِهِ أَنْ يَكُونَ صَبِيًّا، وَإِذَا التَّمَسَّ مَا عِنْدَهُ وَجَدَ رَجُلًا^(٢). أي: ينبغي أن يكون الرجل في أهله مثل الصبي، فإذا التمس ما عنده، وتم الاحتياج له كان رجلاً. كل هذه الآثار تدل على حاجة النفس للترويح والترفيه، لكن الشرع بسط حكمه على هذه الحالة النفسية، فجعل للترفيه والترريح ضابطاً، وههنا أربعة ضوابط:

الضابط الأول: وأنت تُرفُّهُ عَن نَفْسِكَ، وَعَن نَفْسِ أَهْلِكَ وَأَوْلَادِكَ، احْتَسِبِ الْأَجْرَ، فَإِنَّكَ مَا جَوْرٌ حَتَّى فِي هَذَا الْجَانِبِ.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فحينما تمارس ترويحاً لنفسك، وتدخل الترويح على أهل بيتك، احتسب الأجر، فلا تتدمر، ولا تنزعج، فإنك في عبادة إذا احتسبت الأجر.

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٢٣٩).

(٢) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم رقم (١٠٣٨).

قال معاذُ بنُ جبلٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: إني لأحتسبُ نومتي، كما أحتسبُ قومتي ^(١).
 أي: إذا نمتُ أحتسبُ هذا النومَ للتقوي على الطاعة، وأرفهُ عن نفسي، وأجمُّها.
الضابطُ الثاني: الترفيهُ وسيلةٌ، فلا تجعله غايةً، وهو وسيلةٌ لتنشط للعبادة،
 ولتتحفزَ نفسك للعبادة.

لذا قال أبو الدرداءِ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: إني لأجمُّ فؤادي ببعضِ الباطلِ؛ لأنشطَ
 للحقِّ ^(٢). وقصدَ بالباطلِ هنا، اللهو المباح، اللهو الجائر.

قال وهبُ بنُ منبهٍ **رَحِمَهُ اللهُ**: مكتوبٌ في حكمةِ آلِ داودَ: ينبغي للعاقلِ، ألا
 يغفلَ عن أربعِ ساعاتٍ: ساعةٌ يحاسبُ فيها نفسه، وساعةٌ يناجي فيها ربَّه، وساعةٌ
 يلقي فيها إخوانه الذي يُخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعةٌ يُحلي بين
 نفسه وبين لذاتها فيما يحلُّ ويمجمل، فإنَّ في هذه الساعةِ عونًا على تلكِ الساعاتِ ^(٣).

الضابطُ الثالثُ: أن يكونَ الترفيهُ خاليًا من المخالفاتِ، والمُحرِّماتِ الشرعيةِ،
 فلا تكونُ مادةُ الترفيهِ كذبًا مثلاً، فقد جاء في «سُنن أبي داودَ» أنَّ رسولَ اللهِ **ﷺ** قال:
«وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ؛ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيَلُّ لَهُ وَيَلُّ لَهُ» ^(٤).

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن، رقم (٤٣٤١).

(٢) فيض القدير للمناوي (٤/٤٠).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/١٠٥)، رقم (٣١٣)، وهناد في الزهد (٢/٥٨٠)، والبيهقي في
 الشعب رقم (٤٣٥٢).

(٤) أخرجه أحمد (٥/٥)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، رقم (٤٩٩٠)،

والترمذي: كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، رقم (٢٣١٥)، من

حديث معاوية بن حيدة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

لذا قيل للنبي ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، فَقَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»^(١).

كذلك لا يكون في الترفيه ترويع للمسلم، فإن هذا مُحَرَّمٌ، فبعض أنواع الترفيه اليوم -مما يسمّى بالمقالب مثلاً- قائمة على ترويع الآخر، هم يقولون: هذا ترويعٌ، وهذا ترفيهٌ، لكننا نقول: ترويع المسلم مُحَرَّمٌ.

قال رسول الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَرْوَعَ مُسْلِمًا»^(٢)؛ فلا يجوز حتى وإن كان مازحًا، يأخذ شيئًا من متاعه، أو يُعْطِيهِ خَبْرًا يُصْعَقُهُ، ثم يقول: أمزح معك. ومن الأمثلة أيضًا: ألا يكون فيه تعدد على أوقات العبادة، فالترفيه الذي يدخل في وقت العبادة يكون ترفيهًا مُحَرَّمًا.

كذلك ألا يكون فيه تعدد على مصالح الآخرين، كمن يُرْوَحُ عَنْ نَفْسِهِ وَيُعْطِلُّ الْمُرَاجِعِينَ وَالْعُمَّالَةَ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ.

والنبي ﷺ حينما أخبره الصحابيُّ الجليل، وصدقه على ذلك، قال: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٣٤٠/٢)، والترمذي: كتاب البر والصلوة، باب ما جاء في المزاح، رقم (١٩٩٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٢/٥)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح، رقم (٥٠٠٤)، من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ، مرفوعاً.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، رقم (١٩٦٨)، والترمذي: كتاب الزهد، رقم (٢٤١٣)، من حديث أبي جحيفة السوائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كذلك ألا يكون الترفيهُ بالعبابِ مُحَرَّمَةٍ في ذاتها، كاللعبِ بالنردِ، قال رسولُ الله ﷺ: **«مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ شِيرًا، فَكَأَنَّهَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ»** ^(١).
 وفي روايةٍ: **«فَكَأَنَّهَا غَمَسَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ»** ^(٢).
 وفي روايةٍ قال: **«مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»** ^(٣).
 نعم، الترفيهُ والترويحُ حاجةٌ نفسيةٌ، لا بدَّ من اللجوءِ إليها، والأخذِ بها، ولكنَّها تُضَبَطُ بضابطِ الشرعِ المحكمِ.

الضابطُ الرابعُ: ألا يكونَ فيه إيذاءٌ للآخرينَ، فلا يُعقلُ أن يُروِّحَ الإنسانُ ويُرفِّهَ عن نفسه، ثم يتعدَّى على حقوقِ الآخرينَ بالإيذاءِ، فيأتي إلى محلاتٍ عاميةٍ كالحدائقِ وغيرها، ويتخذَ له مَلْعَبًا يُؤذي به من يُشاركه في هذا المكانِ، أو يتخذَ له لعبةً في أحدِ الأحياءِ السكنيةِ يُزعجُ بها أهلَ ذلك الحيِّ، فهذا مُحَرَّمٌ، وفي شرعنا يُسمَّى إيذاءً، ويترتبُ عليه الإثمُ العظيمُ.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا**

(١) أخرجه مسلم: كتاب الشعر، باب تحريم اللعب بالنردشير، رقم (٢٢٦٠)، من حديث بريدة بن الحصيب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه أحمد (٣٥٢/٥)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في النهي عن اللعب بالنرد، رقم (٤٩٣٩)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب اللعب بالنرد، رقم (٣٧٦٣)، من حديث بريدة بن الحصيب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٣) أخرجه أحمد (٣٩٤/٤)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في النهي عن اللعب بالنرد، رقم (٤٩٣٨)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب اللعب بالنرد، رقم (٣٧٦٢)، من حديث أبي موسى الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِنَّمَا مِينَنَا ﴿ [الأحزاب: ٥٨].
وقال رسول الله ﷺ لما وصف المسلم: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ
وَيَدِهِ»^(١).



(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم (١٠)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.



(٢٣)

المنهج النبوي في علاج الأخطاء اللفظية



لَقَدْ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ تَبَارَكَ وَتَعَالٰى عَلٰى هٰذِهِ الْاٰمَةِ بِبَعْتِهِ نَبِيَّهٖ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلٰى اٰلِهِ وَسَلَّمَ،
يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ، وَيُزَكِّيهِمْ.

فَقَالَ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ اِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ اَنْفُسِهِمْ
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيٰتِهٖ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَاِنْ كَانُوْا
مِّنْ قَبْلُ لَفِي ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فَبَلَّغَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ الْاَمْرَ كُلَّهٖ، وَزَكَّى الْاُمَّةَ، وَبَيَّنَ لَهُمْ مَا فِيْهِ صِلٰحُهُمْ.
قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، كَمَا جَاءَ فِي مُسْنَدِ اَحْمَدَ: لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ، وَمَا
يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ اِلَّا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا^(١).

وَمِمَّا عَلَّمَهُ ﷺ لِلْاُمَّةِ، وَحَدَّرَهُمْ مِنْهُ؛ اللِّسَانُ وَخُطُوْرَتُهُ، فَقَدْ بَيَّنَّ لَهُمْ
مَسْوُوْلِيَةَ الْكَلِمَةِ، وَاَنَّ هٰذِهِ الْاَحْرَفَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ هٰذَا الْفَمِ لَهَا كَاتِبَانِ يُدَوِّنٰنَهَا؛
اِذْ قَالَ اللّٰهُ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى: ﴿اِذْ يَنْتَقِي الْمَتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِيْنِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيْدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ
اِلَّا لَدَيْهِ رَقِيْبٌ عَعِيْدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨].

فَجَاءَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ بِمَنْهَجٍ يُصَحِّحُ فِيْهِ هٰذِهِ الْاَخْطَاةَ الَّلَفْظِيَّةَ، قَالَ ﷺ لِمَعَاذِ

(١) أخرجه أحمد (١٦٢/٥).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا مُعَاذُ، كُفَّ عَلَيْنِكَ هَذَا» - وهو يُشيرُ إلى لسانه ﷺ - فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكَلْتِكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(١).

فوضع ﷺ منهجاً لتصحيح هذه الأخطاء اللفظية، أذكرُ ثلاثة نماذج في منهجه ﷺ، وهو يُصحح هذه الأخطاء.

الخطأ الأول: خطأ التكفير والتفسيق للمسلمين، فتجد البعض لا يَحْتَرِزُ أَنْ يَقُولَ: فلانٌ كافرٌ، أو فلانٌ فاسقٌ، وهذه عباراتٌ خطيرةٌ، فجاء النبي ﷺ ووضع لها منهجاً يحد منها، ويبيِّن خطورتها.

ومَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مَا أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ، حَتَّى إِذَا رُئِيَ بِهَجْتِهِ عَلَيْهِ، وَكَانَ رِدًّا لِلْإِسْلَامِ»، أي: ظهرَ عليه أثرُ القرآن، وكانَ عونًا للإسلامِ وأهله «غَيْرُهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشَّرْكِ»، قَالَ: حُذِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشَّرْكِ، المَرْمِيُّ أَمْ الرَّامِيُّ؟ قَالَ: «بِلِ الرَّامِيِّ»^(٢).

انظرُ إلى هذا الإنسان الذي كانَ على صلاحٍ وهُدًى وتُقًى؛ لَمَّا غَفَلَ عَن حُطُورَةِ هَذَا اللِّسَانِ، فَبَدَأَ يَرْمِي بِهِ الْآخَرِينَ، وَمِنْ رَمِيهِ أَنَّهُ قَالَ: هَذَا كَافِرٌ. فَلَمَّا كَفَرَهُ، اسْتَحَلَّ دَمَهُ، فَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ - أَي: قَتَلَهُ - وَبَرَّرَ فِعْلَهُ.

(١) أخرجه أحمد (٢٣١/٥)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم

(٢٦١٦)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، رقم (٣٩٧٣).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٨١).

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ
وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾
[الأعراف: ٣٣]. تقولُ عن هذا: كافر، أو هذا فاسق.

وقال ﷺ - والحديث في «صحيح البخاري» -: «لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا
بِالْفُسُوقِ، وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَهُ كَذَلِكَ»^(١).

وقال ﷺ أيضًا كما في «صحيح البخاري»: «مَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ
كَقَتْلِهِ»^(٢). أي: جريمة هذه الرمية، وهذه الأحراف التي انطلقت، كجريمة القتل.
لِذَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عِنْدَهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

الخطأ الثاني: الحكم للآخرين بالجنة أو النار. فيقول: هذا في الجنة، أو هذا في
النار، وكأنه قد امتلك صكوك الجنة وصكوك النار، يوزعها على من يحب، أو
من يبغض، وهذا أمر خطير.

جاء عند أحمد في «مسنده» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
حَدَّثَ عَنْ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدًا فِي الطَّاعَةِ، وَكَانَ الْآخَرُ
مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ بِالذَّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، فَكَانَ الْمُجْتَهِدُ بِالطَّاعَةِ كَلَّمَا لِقِيَّ أَخَاهُ الْمُسْرِفَ
عَلَى نَفْسِهِ بِالذَّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، قَالَ لَهُ: وَيْحَكَ أَقْصِرْ. وَالْآخَرُ يَقُولُ: خَلَّنِي وَرَبِّي،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن، رقم (٦٠٤٥)، من حديث
أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل، رقم (٦١٠٥)، من حديث
ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَبَعِثْتُ عَلِيَّ رَقِيبًا؟ فَكَلَّمَا قَابَلَهُ عَلَى ذَنْبٍ قَالَ: وَيْحَكَ أَقْصِرْ. قَالَ: خَلَّنِي وَرَبِّي، أَبَعِثْتُ عَلِيَّ رَقِيبًا؟ حَتَّى رَأَاهُ فِي يَوْمٍ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، اسْتَعْظَمَهُ، قَالَ: وَيْحَكَ أَقْصِرْ. قَالَ: خَلَّنِي وَرَبِّي، أَبَعِثْتُ عَلِيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ - وَهَذَا أَمْرٌ خَطِيرٌ، كَيْفَ تَحْكُمُ عَلَى إِنْسَانٍ بِذَنْبٍ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، أَوْ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ- قَالَ ﷺ: «فَبَعَثَ اللَّهُ لَهُمْ مَلَكًا، فَبَضَّ أَرْوَاحَهُمَا، وَاجْتَمَعَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْمُذْنِبِ: الْمُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ بِالذُّنُوبِ، أَذْهَبَ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقَالَ لِلْآخِرِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟! أَكُنْتَ عَلَيَّ مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟! أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ»^(١).

كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ فَالَهَا بَلْفِظُهُ، أَوْ بَقِيَ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ.

وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ﷺ، قَالَ: «أَبْشِرْ يَا كَعْبُ، أَبْشِرْ يَا كَعْبُ». وَأُمُّ كَعْبٍ تَسْمَعُ فَقَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هَنِيئًا لَكَ الْجَنَّةُ يَا كَعْبُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَذِهِ الْمُتَأَلِّبَةُ عَلَيَّ؟» قَالَ: هِيَ أُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ يَا أُمَّ كَعْبٍ؟ لَعَلَّ كَعْبًا قَالَ مَا لَا يَعْنِيهِ، أَوْ مَنَعَ مَا لَا يُغْنِيهِ»^(٢).

فَلَا تَحْكُمُ لِأَحَدٍ بِجَنَّةٍ، أَوْ بِنَارٍ، إِلَّا لِأَحَدٍ حَكَمَ اللَّهُ لَهُ، أَوْ حَكَمَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بَلْ قُلْ: أَسْأَلُ اللَّهَ لَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَهُ مِنَ النَّارِ، لَكِنْ لَا تَحْكُمُ حَكْمًا جَازِمًا لِأَحَدٍ.

(١) أخرجه أحمد (٣٢٣/٢)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، رقم (٤٩٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت رقم (١١٠)، والطبراني في الأوسط رقم (٧١٥٧)، من حديث

كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والحديثُ في «صحيح مسلم»: دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ -ورَسُولُ اللَّهِ يَسْمَعُ ﷺ-: طُوبَى هَذَا، عَصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ الشُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَتْ: فَقَالَ ﷺ: «أَوْغَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا -أَوْ خَلْقًا- خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ خَلْقًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»^(١).
فلا تَسْرِعْ فِي الْحُكْمِ، فَهَذَا لَيْسَ لَنَا، نَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ فُلَانٌ فِي الْجَنَّةِ، أَوْ أَنْ يُعِيدَ فُلَانًا مِنَ النَّارِ، لَكِنْ لَا نَحْكُمُ لِأَحَدٍ بِجَنَّةٍ أَوْ بِنَارٍ، إِلَّا لِمَنْ حَكَمَ اللَّهُ لَهُ أَوْ رَسُولُهُ ﷺ.

الخطأ الثالث: يكونُ في الدعاء.

وقد أمرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالدعاء، ورغبنا فيه، فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال رسولُ الله ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الدُّعَاءِ»^(٢).
ولكنْ هُنَاكَ مَنْ يَعْتَدِي فِي الدُّعَاءِ. أَي: يُخْطِئُ خَطَأً شَرْعِيًّا لَفْظِيًّا فِي الدُّعَاءِ،
وَأَذْكَرُ لَكُمْ صُورَتَيْنِ:

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (٢٦٦٢)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٢/٢)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، رقم (٣٣٧٠)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، رقم (٣٨٢٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الصورة الأولى: التفصيل والتشقيق في الدعاء، وهذا أمرٌ غيرٌ محمودٍ، فقد كان رسولُ الله ﷺ يُعجبه جوامع الدعاء، جاء في «سُنن ابنِ ماجه» عن عبدِ الله بنِ المغفلِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَأَهُ يُدْعُو، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْاَيَّصَّ، عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتَهَا. فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ، سَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَعُذِّ بِهٍ مِنَ النَّارِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ»^(١).

فالتفصيل والتشقيق نوعٌ من الاعتداء في الدعاء، وهي رسالةٌ أبعثُ بها إلى إخواني أئمة المساجد؛ خاصةً في صلاة القيام، ودعاء الوتر والقنوت فقد يكون فيه تفصيلٌ غيرٌ مشروع، والأصل أن النبي ﷺ يحبُّ جوامع الدعاء^(٢)؛ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وهكذا.

الصورة الثانية - من صور الاعتداء في الدعاء - الدعاء على النفس، أو الولد، أو المال، قال رسولُ الله ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ»^(٣). هذا نوعٌ من الاعتداء في الدعاء.

(١) أخرجه أحمد (٨٦/٤)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب كراهية الاعتداء في الدعاء، رقم (٣٨٦٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٨/٦)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب: الدعاء، رقم (١٤٨٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الزهد، باب حديث جابر الطويل، رقم (٣٠٠٩)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب النهي عن أن يدعو الإنسان على أهله وماله، رقم (١٥٣٢)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

هذه أخطاءً لفظيةً جاءَ النبي ﷺ بمنهجٍ قَوَّمَ فيه هذه الأخطاءَ، وهي المنَّةُ
الَّتِي امتَنَّ بها اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْنَا؛ إِذْ بَعَثَ فِيْنَا هَذَا الرَّسُولَ الْكَرِيمَ يُعَلِّمُنَا وَيُرَبِّينَا
وَيُزَكِّيْنَا، فَصَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.





(٢٤)

الطريق إلى الحجة المبرورة



قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والحجُّ شريعةٌ من شرائع الله، وفرضٌ وركنٌ من أركان الإسلام، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن هذا الركن فقال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١).

والمسلمُ العاقلُ هو الذي يُبادرُ إلى أداءِ هذه الفريضة، التي لا تُجِبُ في العُمُرِ إِلَّا مرةً، قبلَ أن يحوّلَ بينه وبينها حائلٌ، كيفَ لا وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].
وقال رسولُ الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»^(٢).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، رقم (٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام، رقم (١٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، رقم (١٣٣٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال ﷺ أيضاً: «عَجَّلُوا الْخُرُوجَ إِلَى مَكَّةَ» أي: إلى الحجِّ «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ حَاجَةٍ»^(١).

فالعاقل هو الذي يُبادرُ ما دامَ في وقتِ الإمهالِ والإمكانِ، وكَم نَعْرِفُ مَنْ الناسِ مَنْ لَا يَزَالُ مُتَرَدِّدًا فِي أَدَاءِ هَذَا الْفَرَضِ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ. وَلَقَدْ بَشَّرْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَائِرِ عَظِيمَةٍ، وَبَيَّنَّ لَنَا فِضَائِلَ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ، فَقَالَ ﷺ: «لَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٢).

وقال ﷺ: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٣).

وقال ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٤).
وَقَدْ سُئِلَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا الْحَجُّ الْمَبْرُورُ؟ فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَائِلًا: أَنْ يَرْجِعَ

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/١١٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٣٤٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (١/٣٨٧)، والترمذي: كتاب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة، رقم (٨١٠)، والنسائي: كتاب مناسك الحج، باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة، رقم (٢٦٣١)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب المحصر، باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ﴾، رقم (١٨١٩)، ومسلم: كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، رقم (١٣٥٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد (١/٣٨٧)، والترمذي: كتاب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة، رقم (٨١٠)، والنسائي: كتاب مناسك الحج، باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة، رقم (٢٦٣١)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا، رَاغِبًا فِي الآخِرَةِ^(١). أَي: أَنْ يَرْجِعَ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا الَّتِي تَشْغَلُهُ
وَتُعَيِّقُهُ عَنِ الآخِرَةِ.

وَهُنَا أُوصِيَ مَنْ نَوَى الْحَجَّ بِأَرْبَعِ وَصَايَا:

الْوَصِيَّةُ الْأُولَى: اجْعَلْ حَجَّكَ لِلَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ
إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وَقَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ
عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتَهُ وَشْرَكَهُ»^(٢).

وَتَدَبَّرْ مَاذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَضَعُ قَدَمَهُ الشَّرِيفَةَ فِي رَحْلِهِ، وَهُوَ يَبْدَأُ
أَوَّلَ خُطَوَاتِ حَجِّهِ - الْحِجَّةَ الْوَاحِدَةَ الَّتِي حَجَّهَا - كَانَ يَدْعُو قَائِلًا: «اللَّهُمَّ حَجَّةً
لَا رِيَاءَ فِيهَا، وَلَا سُمْعَةً»^(٣). هَذَا وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَمَنْ مِمَّنَا الْيَوْمَ يَخْشَى عَلَى عِبَادَتِهِ أَنْ يُخَالِطَهَا رِيَاءً وَتَسْمِيعٌ، فَيَدْعُو رَبَّهُ أَنْ
يُخَلِّصَ عِبَادَتَهُ مِنْ هَذِهِ الشَّوَائِبِ؟

الْوَصِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: عَلَيْكَ بِحُسْنِ التَّاسِّيِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَا تُقَدِّمُ عَلَى نُسُكِكَ فِي
مَنْسِكَ الْحَجِّ إِلَّا وَأَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ فَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَا تُكْثِرُ مِنَ التَّرْخُصِ،

(١) قوت القلوب لأبي طاهر المكي (١٩٧/٢)، وترتيب أمالي الشجري (٢٨٩/٢)، والتبصرة لابن
الجوزي (٢٦٣/٢)، ولطائف المعارف لابن رجب (ص: ٦٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥)، من
حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه ابن ماجه: كتاب المناسك، باب الحج على الرحل، رقم (٢٨٩٠)، من حديث أنس
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والتهرب من سنته ﷺ إلا عند الحاجة، فقد أخبر جابر رضي الله عنه، قال: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، وهو يقول: «لتأخذوا مناسككم»، أي: لتأخذوا عني مناسككم «فإني لا أدري لعلّي لا أحج بعد حجتي هذه»^(١).

ففي طوافك طف كما طاف رسول الله ﷺ، وفي استلامك للحجر، أو تقبيلك له، وفي رميك للجمرات، وسعيك وطوافك، ووقوفك بعرفة، وفي منى، افعل كفعله ﷺ، ولا يحملنك الهوى أو المزاج أن تأتي شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ.

الوصية الثالثة: تحلل من المظالم قبل أن تخرج؛ فإن الحج يكفر كبائر الذنوب التي بينك وبين الله، وتبقى الذنوب التي بينك وبين العباد تحتاج منك إلى توبة نصوح وأن تتحلل منها في الدنيا.

فمن كان ظالماً لغيره؛ أخذ مال أمه أو أبيه، أو تسلط على مال أخته أو أخيه، أو تسلط على ما بين يديه من مال يتيم عنده، أو شهد شهادة زور في حق أحد، أو وشى وشاية على أحد، أو تسبب في قطع رزق أحد، أو قال في فلان ما ليس فيه، أو قذف فلانة، فليتحلل قبل أن يلبس إحرامه.

قال رسول الله ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسنته، فإن لم يكن له حسنت أخذ من سيئات أخيه فطرح عليه»^(٢).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راجعاً، رقم (١٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الفصاح يوم القيامة، رقم (٦٥٣٤)، من حديث أبي

الوصية الرابعة: احرص على أن تكون نفقة حجك طيبة؛ فإن الله طيب، لا يقبل إلا طيباً.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يكتسب عبد ما لا من حرام، فينفق منه، فيبارك فيه، ولا يتصدق به، فيقبل، ولا يتركه خلف ظهره، إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث ^(١).

إِذَا حَجَّجْتَ بِإِلِّهِ أَضْلُهُ سَحَتْ فَمَا حَجَّجْتَ وَلَكِنْ حَجَّجْتَ الْعَيْرُ
لَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا كُلَّ طَيِّبَةٍ مَا كُلُّ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مَبْرُورٌ ^(٢)



(١) أخرجه أحمد (١/٣٨٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مرفوعاً.

(٢) البيتان لأبي الشمقمق مروان بن محمد، انظر ديوانه (ص: ٥٦)، معجم الشعراء للمرزباني (ص: ٣٩٧).



(٢٥)

خصائص يوم عرفة



قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَيَخْتَارُ، خَلَقَ مِنَ الْبَشَرِ مَا شَاءَ، وَاخْتَارَ مِنْهُمْ وَاصْطَفَى، وَخَلَقَ مِنَ الْأَمْكِنَةِ مَا شَاءَ، وَاخْتَارَ مِنْهَا وَاصْطَفَى، وَخَلَقَ مِنَ الْأَزْمِنَةِ مَا شَاءَ، وَاخْتَارَ مِنْهَا وَاصْطَفَى.

وَمِنْ هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ الْفَاضِلَةِ، أَزْمِنَةُ اسْتَوْدَعَ اللَّهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فِيهَا نَفَحَاتِهِ، وَخَيْرَاتِهِ، وَبَرَكَاتِهِ، كَيَوْمِ عَرَفَةَ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فِيهِ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ مَا يَسْتَوْجِبُ عَلَى الْعَبْدِ الْعَاقِلِ الرَّاشِدِ أَلَّا يُفَوِّتَ مِنْهُ لِحْظَةً مِنْ لِحْظَاتِهِ.

كَيْفَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**»^(١).

فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَفْعَلَ الْخَيْرَ فِي دَهْرِهِ كُلِّهِ. وَلَكِنْ فِي بَعْضِ الْأَزْمِنَةِ تَتَضَاعَفُ الْخَيْرَاتُ وَالْبَرَكَاتُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهَا، وَأَنْ يَهْتَبِلَ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/٢٥٠، رقم ٧٢٠)، والبيهقي في الشعب رقم (١٠٨٣)، من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ويومُ عَرَفةَ؛ يومٌ مِنَ الأشهرِ الحُرْمِ، الَّتِي قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهَا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

وهو يومٌ مِنَ أشهرِ الحَجِّ الَّتِي قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهَا: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وهو يومٌ مِنَ الأيامِ المَعْلُومَاتِ الَّتِي أَثْنَى اللهُ عَلَيْهَا فَقَالَ: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ﴾ [الحج: ٢٨].

وهو يومٌ لعَظَمَتِهِ أَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ، وَاللهُ عَظِيمٌ، وَلَا يُقَسَمُ إِلَّا بِعَظِيمٍ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ أَيَّامِ الَّتِي فِيهَا يَوْمُ عَرَفةَ: ﴿وَلِيَالِ عَشْرِ﴾ [الفجر: ٢]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إِنَّهَا عَشْرُ الْأَضْحَى ^(١).

وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: الشَّفَعُ يَوْمُ الْأَضْحَى، وَالْوَتْرُ يَوْمُ عَرَفةَ ^(٢).

وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۖ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٢-٣].

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ: يَوْمُ عَرَفةَ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ» ^(٣).

(١) أخرجه الطبري (٣٤٦/٢٤)، والحاكم (٥٢٢/٢)، والبيهقي في الشعب رقم (٣٤٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (٣٤٩/٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٣٤٧٠، ٣٤٧١).

(٣) أخرجه أحمد (٢٩٨/٢)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البروج، رقم

(٣٣٣٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ويوم عرفة أحد الأيام الفاضلة من أيام العشر الفاضلة، الفاضل العمل فيها؛ حيث قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَمَلٍ أَرْكَى عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلَا أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ فِي عَشْرِ الْأَضْحَى» قالوا: يا رسول الله، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»^(١).

ويوم عرفة يوم إكمال الدين، وإتمام النعمة، فقد جاء يهودي إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت، لا تأخذنا ذلك اليوم عيداً. قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قَالَ عُمَرُ: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت على النبي ﷺ فيه؛ نزلت على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة^(٢).

ويوم عرفة هو يوم الميثاق، فقد أخذ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي يَوْمِ عَرَفَةَ الميثاق على بني آدم، إذ أخرج من ظهر آدم ذريته بنعمان -وإد بجوار عرفة- ونثرهم بين يديه، وأشهدهم على أنفسهم: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟!^(٣) كما قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ

(١) أخرجه الدارمي في السنن رقم (١٨١٥)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأخرجه بنحوه البخاري: كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، رقم (٩٦٩).
(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم (٤٥)، ومسلم: كتاب التفسير، رقم (٣٠١٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢٧٢/١)، والنسائي في السنن الكبرى رقم (١١١٢٧)، والطبري في التفسير (٥٥٠/١٠)، والحاكم في المستدرک (٥٤٤/٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

وهو يومُ العِتقِ مِنَ النَّارِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ»^(١). والعاقِلُ لَا يُفَوِّتُ هَذَا الْيَوْمَ، وَيَسْتَعِدُّ لَهُ، فَإِنَّهُ يُغْفَرُ ذَنْبُهُ، وَيُعْتَقُ مِنَ النَّارِ.

وهذا ليسَ خاصًّا بأهلِ عَرَفَةَ فَقَطْ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ»: وَيَوْمُ عَرَفَةَ هُوَ يَوْمُ الْعِتْقِ مِنَ النَّارِ، فَيُعْتَقُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ، وَمَنْ لَمْ يَقِفْ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلِذَلِكَ صَارَ الْيَوْمُ الَّذِي يَلِيهِ عِيدًا لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ^(٢).

وهو يومُ الدُّعَاءِ كُلِّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٣).

وهو يومُ عيدِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، رقم (١٣٤٨)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) لطائف المعارف (ص: ٢٧٦).

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة، رقم (٣٥٨٥)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشُرْبٍ»^(١).

فَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَأْنَ يَوْمِ عَرَفَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِيَهْتَبِلُوا مَا فِيهِ مِنْ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ، فَشَرَعَ لَنَا فِي يَوْمِ عَرَفَةَ الصِّيَامَ.

وَسُبْحَانَ اللَّهِ شَرَعَ لَنَا صِيَامَ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَحَرَّمَ عَلَيْنَا صِيَامَ يَوْمِ الْعِيدِ وَالثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ الَّتِي تَلِيهِ، فَيَوْمُ عَرَفَةَ يَوْمٌ صِيَامٍ، وَيَوْمُ النَّحْرِ لَا يَجُوزُ الصِّيَامُ فِيهِ وَلَا الثَّلَاثَةُ أَيَّامٌ الَّتِي بَعْدَهُ.

وَجَعَلَ صِيَامَ عَرَفَةَ صِيَامًا مُمَيِّزًا، فَجَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ»^(٢).

فَالْعَاقِلُ الرَّاشِدُ هُوَ الَّذِي لَا يُفَوِّتُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَيَّامَ الْفَاضِلَةَ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي هَلْ تَعُودُ عَلَيْهِ أَوْ لَا.



(١) أخرجه أحمد (٤/١٥٢)، وأبو داود: كتاب الصوم، باب صيام أيام التشريق، رقم (٢٤١٩)، والنسائي: كتاب مناسك الحج، باب النهي عن صوم يوم عرفة، رقم (٣٠٠٤)، من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم (١١٦٢)، من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(٢٦)

صلاة التطوع فضائل وأحكام •• ❁ ••

فَرَضَ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عَلَى عِبَادِهِ فَرَائِضَ، وَأَمَرَهُمْ بِأَدَائِهَا، وَسَنَّ لَهُمْ نَوَافِلَ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهَا.

فَقَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عَنْ هَذِهِ النَوَافِلِ: **﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾**

[البقرة: ١٥٨].

وَقَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: **﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾** [البقرة: ١٨٤].

وَحَدِيثُنَا عَنْ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ، فَالْعَبْدُ قَدْ يَحْرُصُ عَلَى أَدَاءِ مَا افْتَرَضَ اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ، لَكِنَّهُ قَدْ يُقْصِرُ فِي جَانِبِ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ، مَعَ مَا فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ، وَالْأَجْرِ، وَالْخَيْرَاتِ، وَعَظِيمِ الدَّرَجَاتِ.

وَفَضَائِلُ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

أَوَّلًا: أَنَّهَا تَجْبِرُ نَقْصَ الْفَرِيضَةِ، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَمُتَّقِصٌ مِنْ فَرِيضَتِهِ، فَتَأْتِي النَّافِلَةُ تُسَدُّ مَا حَصَلَ فِيهَا مِنْ نَقْصٍ.

جَاءَ فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ **ﷺ** قَالَ:

«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ

وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ: انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَيَكْمَلُ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ»^(١).

فمن رحمة الرحيم، وفضل الكريم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، أنه يقول للملائكة يوم القيامة: انظروا لعبدي، هل تجدون له تطوعاً؟ أكان يصلي الضحى، أو يقوم الليل، أو يأتي بالسُنن الرواتب، أو عنده نوافل؟ فيؤخذ من النوافل، فيسد بها ما انتقص من الفريضة.

ثانياً: بها تُرفع الدرجات، وتُمحى السيئات، ومن منّا في غنى أن تُرفع درجته، وتُمحى خطيئته.

جاء في «صحيح مسلم» من حديث ثوبان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ»**^(٢). أي: عليك بكثرة النوافل، تُرفع بها الدرجات، وتُمحى بها الخطيئات.

ثالثاً: التطوع سبب رئيس في دخول الجنة، فقد جاء في «صحيح مسلم» من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: **«يَا رِبِيعَةُ سَلِّ، يَا**

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة،

رقم (٤١٣)، والنسائي: كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، رقم (٤٦٥).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، رقم (٤٨٨).

رَبِيعَةٌ سَلْ، سَلْنِي مَا شِئْتَ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قَالَ: هُوَ ذَاكَ، أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»^(١).

فكثرة السجود سبب في دخول الجنة، قالت أم المؤمنين أم حبيبة زوج النبي ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّيَ لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا، غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(٢). أربعا قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر.

فَمَنْ مَنَّا فِي غِنَى عَنْ هَذَا الْخَيْرِ الْعَظِيمِ.

رابعًا: صلاة التطوع - وبالأخص في البيوت - تجلب لك الخيرات، وستجد ذلك في نفسك، وفي صلاح ولدك، وفي نفرة الشيطان من بيتك، وفي حصول الود والوئام مع أسرته.

وما ذاك إلا لأن النبي ﷺ بين ذلك، قَالَ: «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا»^(٣).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب فضل السجود، رقم (٤٨٩).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل السنن الراجعة قبل الفرائض وبعدهن، رقم (٧٢٨).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، رقم (٧٧٨)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

خامساً: وهو أعظمها؛ أن العبد يُرزق بمحبة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فإذا أحَبَّك اللهُ، فقد فُرت بكلِّ نعيمٍ، فلا تلتفت إلى غيره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قال اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الحديثِ القدسيِّ: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ**» ركعتان، أو أربع، أو ست، يُصليها العبدُ، «**حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ**»^(١).

هذه بعضُ فضائلِ صلاةِ التطوعِ، ولكنَّ بعضنا قد يكونُ في غفلةٍ وإعراضٍ عنها، والعاقِلُ هو الَّذي يأخذُ بها، قبلَ أن تُؤخَذَ هذه الأنفُسُ.

وصلاةُ التطوعِ أيضًا لها أحكامٌ، منها:

أولاً: أنه يجوزُ أن يُؤدِّيها العبدُ جالسًا بعدُزٍ وبغيرِ عُدزٍ، بخلافِ الفريضةِ، وله نصفُ الأجرِ؛ لقوله **ﷺ**: «**وَصَلَاةُ الْقَاعِدِ عَلَى النِّصْفِ مِنْ صَلَاةِ الْقَائِمِ**»^(٢).

ثانياً: جوازُ أدائها وأنتَ راكبٌ في سيارةٍ، أو سفينةٍ، أو طائرةٍ.

ثالثاً: جوازُ أدائها جماعةً في بعضِ الأحيان، كأنَّ تَجْمَعُ زوجتكِ وأبناءك وتُصليَ بهم نافلةً في البيتِ جماعةً.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه أحمد (٣/٢١٤)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب صلاة القاعد على النصف من

صلاة القائم، رقم (١٢٣٠) من حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**. وأخرجه البخاري: كتاب

تقصير الصلاة، باب صلاة القاعد، رقم (١١١٥)، من حديث عمران بن حصين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**،

بلفظ: «من صلى قاعداً فله نصف أجر القائم».

رابعًا: إذا أُقيمتِ الفريضة، فلا تُصَلَّى؛ لقوله ﷺ كما جاء في «صحيح مسلم»: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ»^(١).
هذه بعضُ الفضائلِ، وتلك بعضُ الأحكامِ.



(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع المؤذن، رقم (٧١٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(٢٧)

البشارة آداب وأحكام



التبشيرُ بالخيرِ قيمةٌ أخلاقيةٌ، وقربةٌ تتقربُ بها إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأدبٌ إسلاميٌّ رفيعٌ، نجدُه في كتابِ الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** كثيرًا، وكذا على لسانِ رسوله **ﷺ**. والمتأملُ يجدُ أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بشرَ عباده وخلقَه وصفوةَ خلقه ببشائرِ الخيرِ من أمرِ الدنيا والآخرة، من ذلك أنه بشرَ إبراهيمَ عليه السلام، فقال: ﴿ **فَبَشِّرْهُ بِعُلْمٍ حَلِيمٍ** ﴾ [الصافات: ١٠١].

وقال عن زوجة إبراهيم عليه السلام: ﴿ **وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ** ﴾ [هود: ٧١].

وأمر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** نبيه، وسائرَ أنبيائه ورُسُلَه أن يكونوا مُبشِّرينَ يحملون في طياتِ رسالتهم بشائرَ الخيرِ، فقال لنبية محمد **ﷺ**: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال في موضعٍ: ﴿ **يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴾ ٤٥ وداعيًا إلى الله **بِإِذْنِهِ** وسراجًا مُنيرًا ٤٦ وبشرَ المؤمنين **بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٧].

والنفوس تُسَرُّ وتفرحُ ببشائرِ الخيرِ، وانظُرْ إلى العبدِ المؤمنِ، كيفَ بَشَّرَهُ رَبُّهُ
تُبَارِكُ وَتَعَالَى ببشائرِ عِدَةٍ؛ لَعَلِمَهُ أَنَّهُ يَفْرَحُ بِبُشْرَى الْخَيْرِ، فَالْعَبْدُ يُبَشِّرُ حِينَما يَرِحُلُ مِنْ
هَذِهِ الدُّنْيَا، وَيُبَشِّرُ حِينَما يُوَسِّدُ فِي قَبْرِهِ، وَيُبَشِّرُ حِينَما يُبْعَثُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ
وَكَرَامَتِهِ»^(١).

ويُبَشِّرُ أَيضًا فِي قَبْرِهِ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: يُقالُ للعبدِ المؤمنِ، والذي يقولُ لَهُ
هذه البُشْرَى عملُهُ الصالحُ، يقولُ: «أَبَشِّرُ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، فَهَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ
تُوعِدُ»^(٢).

وحِينَما يُبْعَثُونَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يقولُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بُشِّرْكُمْ
الْيَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].
ويأتي جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ببشائرِ الخيرِ إلى النبيِّ ﷺ، مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ:
«بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

والملائكةُ كذلك تأتي ببشائرِ الخيرِ، جلسَ النبيُّ ﷺ، ومعه جبريلُ فسَمِعَ
صوتًا قويًّا فوقهم، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَقَالَ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ:

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم (٦٥٠٧)، من
حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٤/٢٨٧ - ٢٨٨)، من حديث البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب المكثرون هم المقلون، رقم (٦٤٤٣)، ومسلم: كتاب،
باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، رقم (٩٤)، من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

«هَذَا بَابٌ فَتِيحٌ مِنَ السَّمَاءِ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، قَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ» فنزل هذا الملك، فسلم على النبي ﷺ، وقال له: «أَبَشِّرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ قَطُّ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ»^(١).

فكان هذا أدباً نَحَلَّ به النبي ﷺ، يمشي مع الناس ويُسِّرُهُمْ؛ لَعَلِمَهُ أَنَّ النَّاسَ يَفْرَحُونَ بِبَشَائِرِ الْخَيْرِ، حَتَّى مَعَ أَهْلِ الْبَلَاءِ وَالْمَصَائِبِ، فَكَانَ ﷺ يَعُودُ الْمَرْضَى وَيُسِّرُهُمْ؛ رَفَعًا لِمَعْنَوِيَّاتِهِمْ.

قَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَرِيضَةٌ، فَقَالَ: «أَبَشِّرِي يَا أُمَّ الْعَلَاءِ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ خَطَايَاهُ، كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»^(٢)، فَقَطَّ كَلِمَةَ أَبَشِّرِي، أَوْ أَبَشِّرْ، هَذِهِ تُدْخِلُ السَّرُورَ عَلَى النَّفْسِ إِذَا سَمِعَتْهَا.

وَأَمَرَ ﷺ أَصْحَابَهُ وَأَتْبَاعَهُ وَأُمَّتَهُ أَنْ يَتَحَلَّوْا بِهَذَا الْأَدَبِ، إِذَا سَمِعَتْ بِمَا يُسَّرُ وَيُسَّرُ بِهِ صَاحِبُكَ فَبَشِّرْهُ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا مُحْتَقِرًا فِي نَظْرِكَ، وَلَكِنَّهُ يَفْرَحُ بِهِ، فَتَحَرَّكَ إِلَيْهِ، وَبَشِّرْهُ.

خَرَجَ مَعَاذُ وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَسُولًا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، وَهُمَا

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، رقم (٨٠٦)،

من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الجنائز، باب عيادة النساء، رقم (٣٠٩٢).

يَحْمَلَانِ هَذِهِ الرِّسَالَةَ، قَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرًا، وَتَطَوَّعًا وَلَا تَحْتَلِفًا»^(١).

فصَارَ مِنْهَجًا أَنْ يَحْمَلَ الْإِنْسَانُ مَا يُبَشِّرُ بِهِ إِخْوَانَهُ، وَيُدْخُلُ عَلَيْهِمُ السَّرُورَ، وَهُنَاكَ أَمْثَلَةٌ لِذَلِكَ، مِنْهَا:

المثال الأول: دخل موسى بن طلحة بن عبيد الله على معاوية رضي الله عنه، فقال له معاوية، مُبَشِّرًا له بخيرٍ لوالده طلحة: أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا مُوسَى؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ»^(٢).

وهذه بشرى، يُشيرُ إلى الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبَدُّلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

المثال الثاني: دخل رجلٌ على ابنِ عمر رضي الله عنهما، فقال له ابنُ عمر: مِمَّنْ أنت؟ قَالَ: مِنْ أَسْلَمَ. يَعْنِي: مِنْ قَبِيلَةِ أَسْلَمَ، فَأَرَادَ ابْنُ عُمَرَ أَنْ يُبَشِّرَهُ بِشَيْءٍ سَمِعَهُ، فَقَالَ: أَلَا أُبَشِّرُكَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «غِفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمٌ سَأَلَهَا اللَّهُ»^(٣).

- (١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف، رقم (٣٠٣٨)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم (١٧٣٣)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
- (٢) أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الأحزاب، رقم (٣٢٠٢)، وابن ماجه: مقدمة السنن، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم (١٢٧).
- (٣) أخرجه أحمد (١٥٣/٢)، وأخرجه مختصرًا؛ البخاري: كتاب المناقب، باب ذكر أسلم وغفار ومزينة، رقم (٣٥١٣)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب دعاء النبي ﷺ لغفار وأسلم، رقم (٢٥١٨).

المثال الثالث: قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، تبشّر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا فاطمة ألا أبشرك؟ قالت: بلى. قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخديجة بنت خويلد، وآسية»^(١).

المثال الرابع: خرج النبي صلى الله عليه وسلم في يومٍ فمرّ بالمسجد في الليل، ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فسمعا في المسجد قارئاً يقرأ القرآن بصوت جميل، فوقف صلى الله عليه وسلم، ووقف أبو بكر وعمر يستمعان، فعرفا صاحب الصوت، إنه عبد الله بن مسعود، ابن أم عبد، فقال صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر وعمر يسمعان، وابن مسعود لا يسمع: «من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد».

هذه بشري خير، لم يسمعها ابن مسعود، وهذه منقبة له، وثناء عليه، قال عمر: فقلت في نفسي: والله لا أغدون إليه فلا تبشّرته. قال: فغدوت إليه لأبشّره، فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشّره، والله ما سبقته إلى خير قط إلا سبقني إليه^(٢). وما ذلك إلا لعلمهم أنه خير، فتسابقوا إليه، يبشّروا أحدهم ببشائر الخير؛ طلباً وتقرباً وتزلفاً إلى الله بفعل الخيرات والصالحات.

وللبشارة أحكام وآداب، منها:

الأدب الأول: إذا بشّرت أحداً بخيرٍ فاحتسب الأجر، فتبشّرك له بالخير عبادةً تتقرب بها إلى الله، ولكنها ليست كآية عبادة، وليست كأبي عمل، قال

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/١٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/٢٦).

رسول الله ﷺ: «وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ»^(١).

الأدب الثاني: كُنْ صَادِقًا وَلَا تُبَشِّرْ بِالْكَذِبِ، وَلَا تَظَنَّ أَنَّ غَايَتَكَ وَهِيَ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْآخَرِينَ، تُبَرِّرُ لَكَ أَنْ تَنْقُلَ لَهُمْ شَيْئًا كَذِبًا.

الأدب الثالث: إِذَا بَشَّرَكَ أَحَدٌ بِشَيْءٍ فَأَعْطِهِ الْبُشَارَةَ، وَهِيَ مَا يُعْطَى لِلْبَشِيرِ الَّذِي جَاءَ يَحْمِلُ بَشَائِرَ الْخَيْرِ.

قال كعب بن مالك، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا، ثم تاب الله عليهم: فَلَمَّا جَاءَنِي الصَّارِخُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي، فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ^(٢).

فإن لم تجد ما تعطيه، أو وجدت حرجًا أن تقابله بَعْطَاءٍ، فادعُ له، فإن النبي ﷺ يقول: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ بِهِ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»^(٣).

الأدب الرابع: إِذَا جَاءَتْكَ الْبُشَارَةُ فَاسْجُدْ شَاكِرًا لِلَّهِ، فَقَدْ قَالَ أَبُو بَكْرَةَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ سُرُورٍ أَوْ بُشْرٍ بِهِ، خَرَّ سَاجِدًا شَاكِرًا لِلَّهِ^(٤).

- (١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٥٣/١٢)، رقم (١٣٦٤٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣٤٨/٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
- (٢) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، رقم (٤٤١٨)، ومسلم: كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم (٢٧٦٩).
- (٣) أخرجه أحمد (٦٨/٢)، وأبو داود: كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله عَزَّوَجَلَّ، رقم (١٦٧٢)، والنسائي: كتاب الزكاة، من سأل بالله عَزَّوَجَلَّ، رقم (٢٥٦٧)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
- (٤) أخرجه أحمد (٤٥/٥)، وأبو داود: كتاب الجهاد، باب في سجود الشكر، رقم (٢٧٧٤)، والترمذي: كتاب السير، باب ما جاء في سجدة الشكر، رقم (١٥٧٨)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر، رقم (١٣٩٤).

وهي عبادةٌ غفلَ عنها كثيرٌ من الناسِ، أن يحترقَ لله ساجدًا، شاكِرًا، حامدًا،
مُثنيًا عليه، فإنَّ العبدَ إنْ فعلَ ذلكَ زادَهُ اللهُ من بَشائرِ الخيرِ، قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ
شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].





(٢٨)

أخي المعلم



رسالة إلى حُماة الثُّغورِ، أطباءِ المجتمعِ، إلى مُعلِّمي الأجيالِ، وسُقاةِ الزرعِ،
إلى المعلمِ في بدايةِ عامِهِ الدَّرَاسِيِّ.

فالمعلمُ مجاهدٌ في مجتمعه، على ثغرٍ هوَ من أعظمِ الثُّغورِ، وهوَ طبيبٌ في
مجتمعه، يقيه الأَدواءَ والشُّرورَ، وهوَ مُهندسٌ في مجتمعه، يُساهمُ في بناءِ منظومةِ
الأخلاقِ، والقيمِ، وهوَ إمامٌ في مجتمعه، ينهضُ به نحوَ معالي الأمورِ، وأَعاليِ
القيمِ، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾
[المجادلة: ١١].

قال وهبُ بنُ مُنبهٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيَتَشَعَّبُ مِنَ الْعِلْمِ الشَّرْفُ وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ
دَنِيًّا، وَالْعِزُّ وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مَهِينًا، وَالقُرْبُ وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ قَصِيًّا، وَالغِنَى وَإِنْ
كَانَ صَاحِبُهُ فَقِيرًا، وَالْمَهَابَةُ وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهَا وَضِيعًا^(١).

وَصَدَقَ شَوْقِي أَمِيرُ الشُّعْرَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ، حِينَ قَالَ:

فَمِ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبَجِيلَا كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا

(١) حسن التنبيه لما ورد في التشبه لنجم الدين الغزي (٣٢٨/١٠)، وتذكرة السامع لابن جماعة (ص: ٤٢).

أَعْلِمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا^(١)

وهذه رسالة إلى المعلم، قد ضَمَّتْهَا أَرْبَعُ نَصَائِحَ:
النصيحة الأولى: كُنْ مُخْلِصًا، فَبَقْدَرِ إِخْلَاصِكَ تُؤَجَّرُ، وَتَهْفُو إِلَيْكَ قُلُوبُ
طُلَّابِكَ؛ وَهُوَ أَجْرٌ لَا يُدَانِيهِ أَجْرٌ، قَالَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ،
وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ، لَيَصَلُّونَ عَلَى
مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»^(٢).

الكون كله يتفاعل معك أيها المعلم، وأنت تمارس هذه المهنة في إيصال الخير
إلى أبنائنا، إذا أخلصت وراقبت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وجعلت في نيتك أن تربِّي هؤلاء
الأبناء؛ ليكونوا في الغد القريب هم القادة، وصناع القرار.

بل إن إخلاصك في عملك، وفي هذه المهنة على وجه الخصوص، يجري
معك حينما ترحل من هذه الدنيا؛ لقوله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ
إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٣).

والثلاثة كلها مجموعة لك أيها المعلم، فتعليمك صدقة، وهو من العلم
الذي ينتفع به، وطلّابك إنّما هم أبنائك يدعون لك في حياتك وبعد مماتك، كلّما
تذكروا الفضل الذي قدّمته لهم.

(١) الشوقيات (١/ ١٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٦٨٥)، من
حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١)، من
حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فبقدر إخلاصك يُقبلُ اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** بقلوبِ أبنائك عليك، فما عليك إلا أن تُخلصَ، فستجدُ قلوبَ الأبناء تتجهُ إليك أنتَ على وجهِ الخصوصِ .
قالَ هرمٌ بنُ حَيَّانَ **رَحْمَةُ اللَّهِ**: ما أقبلَ عبدٌ بقلبه إلى الله، إلا أقبلَ اللهُ بقلوبِ المؤمنين إليه، حتى يرزقه ودَّهم ^(١) .

فيوضعُ له الحبُّ والودُّ في قلوبِ الأبناء؛ بسببِ إخلاصه .

النصيحةُ الثانيةُ: كُنْ محبًّا لطلابك، رَحِيمًا بهم، مُشفقًا ورفيقًا بهم، فإنَّ المولى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، قالَ للمُعَلِّمِ الأوَّلِ، معلِّمِ البشريةِ **ﷺ**: ﴿ **فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وهو رسولُ اللهِ **ﷺ** يأمره ربه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أن يكونَ رَحِيمًا لينا سهلًا، محبًّا مُشفقًا رَفِيقًا، فإنَّ القلوبَ تُحبُّ الرفقَ وأهلَه .

ثم انتبه أيها المعلِّمُ، فإنَّ من لوازمِ رحمتك بطلابك أن تُراعيَ الفروقَ التي بينهم، ففي طلابك الذكيِّ والأقلَّ ذكاءً، وفيهم الغنيُّ والفقيرُ، وفيهم المُعاقِ الصحيحُ السليمُ والمريضُ، وفيهم من يعيشُ بين أسرةٍ آمنةٍ هادئةٍ في كنفِ أبويه، ومن يعيشُ بعيدًا عن والديه، وفيهم من جاءك محبًّا للدراسةِ، راغبًا فيها، وفيهم - وهم الأكثرُ - من جاءك كارهاً للدراسةِ، خائفًا منها .

وحينما تُراعي هذه الفروقَ، وتتماشى مع الجميع، تكونُ قد رفقتَ بهم، فإذا كنتَ رَفِيقًا، فهذه دعوةُ النبيِّ **ﷺ** لك، قالَ: «**اللَّهُمَّ، مَنْ وِيٍّ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا**

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١٥/٦٤٣ - ٦٤٤)، والبيهقي في الزهد الكبير رقم (٧٩٩).

فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْتَقَّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَليَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَارْفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»^(١).

دعوةٌ دعا بها النبي ﷺ، وهي صابرةٌ وبقيةٌ إلى يومِ القيامةِ.

النصيحةُ الثالثةُ: كُنْ مُبدعًا مُتقنًا مُتفنًا وأنت تُؤدِّي رسالتك، ولا يكنِ المنهجُ حملًا ثقيلًا عليك تُريدُ الخلاصَ منه، لكنْ قدمه بإتقانٍ، وأبدع فيه وتفنن، فإنَّ هذا من دلائلِ محبتك لهم، وحرصك على الأجرِ الذي تقدّم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»^(٢).

وقال أيضًا ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ»^(٣).

وقد خرج رسولُ الله ﷺ يومًا إلى المقبرةِ يشاركُ في جنازةٍ، فلما وصلَ إلى المقابرِ، وإلى بعضِ اللحدِ، إذا به ﷺ يقولُ: «سَوُّوا لِحَدِّ هَذَا» حتَّى ظنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سُنَّةٌ، فَالْتَمَتَ إِلَيْهِمْ - فَقَدْ عَلِمَ بِأَنَّ هَذَا الظَّنَّ قد أتاهم - ثم قال: «أَمَا إِنَّ هَذَا» أي: الإِتقانَ والتسويةَ والإحسانَ والإبداعَ، الَّذي أمرَ به «لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَلَا يَضُرُّهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ الْعَامِلُ أَنْ يُحْسِنَ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم (١٨٢٨)، من حديث عائشة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، رقم (١٩٥٥)، من

حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو يعلى في المسند رقم (٤٣٨٦)، والطبراني في المعجم الأوسط رقم (٨٩٧)، والبيهقي

في الشعب رقم (٤٩٢٩)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب رقم (٤٩٣٢)، من حديث كليب بن شهاب الجرمي مرسلًا.

يُعَلِّمُهُمُ ﷺ الإِتْقَانَ وَالْإِحْسَانَ مَعَ عِبَادٍ قَدْ ارْتَحَلَ مِنَ الدُّنْيَا، فَكَيْفَ بَعْدَ قَدِ
أَتَاكَ وَهُوَ فِي بَدَايَةِ إِقْبَالِهِ عَلَى الدُّنْيَا، فَهُوَ أَوْلَى بِالْإِحْسَانِ وَالْإِتْقَانِ، وَهُوَ أَوْلَى أَنْ
يُبَدَعَ، وَنَحْنُ نُنشِئُهُ فِي بَدَايَةِ نَشِئِهِ.

النصيحة الرابعة: كُنْ قَدْوَةً فَإِنَّ أَعْيُنَ طُلَابِكِ مَعْقُودَةٌ بِعَمَلِكِ لَا بِقَوْلِكَ،
فَهُمْ يَتَأَثَّرُونَ بِفِعْلِكَ أَكْثَرَ مِنْ تَأَثُّرِهِمْ بِقَوْلِكَ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

فَحِينَمَا تُعَلِّمُ لِيَكُنْ فِعْلُكَ هُوَ الْمَعْلَمُ، وَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَنْهَجَ هَذَا
الْمَنْهَجَ، وَهُوَ أَنْ نَعِظَ النَّاسَ بِأَفْعَالِنَا لَا بِأَقْوَالِنَا.

وَقَدْ حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِنْسَانَ أَنْ يَكُونَ كَالشَّمْعَةِ، يُضِيءُ لِلنَّاسِ، ثُمَّ
يُحْرِقُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ، مَثَلُ الْفَتِيلَةِ تُضِيءُ
لِلنَّاسِ وَتُحْرِقُ نَفْسَهَا»^(١).

فَلَا تُفَوِّتْ مِنْ عَمْرِكَ عَشْرَاتِ السِّنِينَ، تُعَلِّمُ الْأَبْنَاءَ الْقِيَمَ وَالْأَخْلَاقَ
وَالْمَبَادِيءَ، ثُمَّ تَكُونُ أَنْتَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْهَا، وَتَذَكَّرْ قَوْلَ مَنْ قَالَ:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرُهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/١٦٥، رقم ١٦٨١، ١٦٨٥)، من حديث جندب بن عبد الله
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
 ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَأَنْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
 لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ^(١)



(١) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ٣٤)، وجامع بيان العلم لابن عبد البر (١/٦٧٤)،
 وتاريخ دمشق (١٥٩/٣٤)، وشرح شذور الذهب لابن هشام (ص: ٣١٠)، ونسبها لأبي
 أسود الدؤلي.



(٢٩)

الله الله! بأصحابي



قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ ابْتَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ»^(١).

فما من نبيٍّ بعثه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا وَأَحَاطَهُ بِحَوَارِيِّينَ وَأَصْحَابٍ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَفُونَ أَثْرَهُ، وَهُمْ مُعْظَمُونَ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ اخْتَارَهُمْ سَوَارًا لِهَذَا النَّبِيِّ، يُحِيطُونَ بِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِهِ.

وَلَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ هُمْ حَوَارِيَّيْهِ، ذَكَرَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ بِالْفَضْلِ، وَعَدَّدَ مَكَانَتَهُمْ وَفَضَّلَهُمْ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَكَذَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن مَكَانَةِ أَصْحَابِهِ، وَكَذَا جَاءَتْ أَقْوَالُ أئِمَّةِ الْإِسْلَامِ.

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ عَن صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[التوبة: ١٠٠].

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم (٥٠)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقال تعالى في آيةٍ أُخرى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].
والآيات في ذلك كثيرة.

ويبين لنا رسول الله ﷺ مكانة صحبه الكرام، فقال ﷺ كما جاء في «صحيح مسلم»: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»^(١).

ويبين ﷺ أنهم خير الناس، فقال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(٢).

وجاء التحذير من المساس بالصحب الكرام، والانتقاص من قدرهم، أو سبهم وشتيمهم واحتقارهم، فقال ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، رقم (٢٥٣١)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم (٢٦٥٢)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً»، رقم (٣٦٧٣)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، رقم (٢٥٤١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال ﷺ: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١).
وقال ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»^(٢).

أي: إذا ذُكِرَ اختِلافُهم، فهُمُ بشرٌ كالْبَشَرِ، يَقَعُ مِنْهُمُ الخِلافُ، وَيَقَعُونَ فِي الاختِلافِ، فَإِذَا ذُكِرَ خِلافُهم فَأَمْسِكُوا عَن ذِكْرِ خِلافِهم، ذِكْرِ الْمُحْتَقِرِ الْمُنتَقِصِ.
وكذلك قال أئمةُ الإسلام؛ فَقَدْ قَالَ أُيُوبُ السَّخْتِيَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ أَحَبَّ أَبَا بكرٍ فَقَدْ أَفَامَ الدِّينَ، وَمَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَدْ أَوْضَحَ السَّبِيلَ، وَمَنْ أَحَبَّ عُثْمَانَ فَقَدْ اسْتَنَارَ بِنُورِ اللهِ، وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَمَنْ قَالَ الْحُسَيْنَى فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَدْ بَرِيَ مِنَ النِّفَاقِ^(٣).

وقال أبو زُرْعَةَ: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فاعْلَمْ أَنَّهُ زَنْدِيقٌ^(٤).

بَلْ هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ؛ فَقَدْ قَالَ بَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ شَتَمَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ^(٥).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/١٤٢، رقم ١٢٧٠٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/١٩٨، رقم ١٠٤٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (٤/١٠٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة رقم (١٢٣١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٢٣٣٣).

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في الكفاية (ص: ٤٩)، وابن العربي في العواصم من القواصم (ص: ٣٤).

(٥) الإبانة الصغرى لابن بطة رقم (٢٠٢).

ولعلَّ قائلاً يقول: لماذا إذنٌ وقعَ من وقعٍ في إيذاءِ رسولِ الله ﷺ بإيذاءِ صحبه الكرام؟ ولماذا انتكستِ الفطرُ عندَ البعضِ، وتنجستِ الأفواهُ وأطلقت هذه الكلماتُ المسمومةُ من تلكِ الأفواهِ المذمومةِ في سبِّ أصحابِ رسولِ الله ﷺ؟ نجدُ الجوابَ هناكَ عندَ أمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها، فقدَ أتاها أناسٌ يقولون: يا أمِّ المؤمنينَ؛ إن ناساً يتناولون أصحابَ محمدٍ ﷺ حتى أبا بكرٍ وعمراً، فقالتُ عائشةُ رضي الله عنها: وما تعجبون من هذا! انقطعَ عنهمُ العملُ -أي: عن الصحابةِ- فأحبَّ اللهُ ألاَّ ينقطعَ عنهمُ الأجرُ^(١).

فأجورهم ترتفعُ، وقدرهم يرتفعُ، بقدرِ ما يحصلُ لهم من السبِّ والشتيمِ. وهناكُ خمسةُ حقوقٍ للصحابةِ الكرامِ، على كلِّ مسلمٍ حقٌّ للصحابةِ الكرامِ: الحقُّ الأوَّلُ: أن تعرفَ قدرهم، فإنَّ لهم فضلاً عظيماً، قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: إنَّ اللهَ نظرَ في قلوبِ العبادِ، فوجدَ قلبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خيرَ القلوبِ، فاصطفاهُ لنفسِهِ، فابتنعتهُ برسالتهِ، ثمَّ نظرَ في قلوبِ العبادِ بعدَ قلبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فوجدَ خيرَ قلوبِ العبادِ قلوبَ أصحابِهِ، فجعلَهُم وُزراءَ نبيِّهِ، يُقاتِلونَ على دينِهِ^(٢).

وقال أيضاً رضي الله عنه: مَنْ كانَ مِنكم مُتأسِّياً فليتأسَّ بأصحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فإنَّهم كانوا أبرَّ هذهِ الأمةِ قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً،

(١) أخرجه ابن عساكر في تبين كذب المفتري (ص: ٤٢٤)، وانظر: جامع الأصول لابن الأثير رقم (٦٣٦٦).

(٢) أخرجه أحمد (١/٣٧٩).

وأحسنها حالاً، قومٌ اختارهمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لصحبةِ نبيِّهِ ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم^(١).

الحقُّ الثاني: أن تُحبَّهم، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «الأنصارُ لا يُحبُّهم إلا مؤمنٌ، ولا يُبغضُهم إلا منافقٌ، فمن أحبَّهم أحبَّه اللهُ، ومن أبغضهم أبغضه اللهُ»^(٢).

وقال ﷺ: «آيةُ الإيمانِ حبُّ الأنصارِ، وآيةُ النفاقِ بغضُ الأنصارِ»^(٣).

فمن حقَّهم علينا أن نُحبَّهم، ولا يمكنُ أن نُحبَّ أحداً ولا نتعرَّفَ عليه، أو تقرأ سيرته، أو تنظرَ في مناقبه، وفضائله.

الحقُّ الثالثُ: أن تتأسى بهم، فهمُ الأسوةُ والقُدوةُ، هكذا أمرنا رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «فعلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»^(٤).

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم رقم (١٨١٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار، رقم (٣٧٨٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان، رقم (٧٥)، من حديث البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، رقم (١٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان، رقم (٧٤)، من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد (١٢٦/٤)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٢)، من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الحقُّ الرابعُ: الدُّعاءُ لهم، والترحمُ عليهم، وذكرُ أفضالهم، قال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى في كتابه الكريم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٨-٩].

ثمَّ قالَ في الآيةِ الثالثةِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

الحقُّ الخامسُ: فهي عقيدةٌ ينبغي أن تكونَ في نفسِ كلِّ مسلمٍ، أن يُحبَّ من أحبَّ صحابةَ النبي ﷺ، وأن يُبغضَ ويُعاديَ من يُبغضهم ويُعاديهم. وقد سبقَ حديثُ البراءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عندَ البخاريِّ، أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ»^(١). قالَ الطحاويُّ رَحِمَهُ اللهُ في عقيدته: وَبُغِضَ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِعَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكَرُهُمْ^(٢).

فلا مُساومةَ على الدِّينِ، ولا على ثوابِ الدِّينِ، من أبغضَ صحابةَ النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار، رقم (٣٧٨٣)، ومسلم: كتاب

الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ من الإيمان، رقم (٧٥).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٤٧٥).

يُبغِضُ، وَمَنْ عَادَاهُمْ يُعَادَى، هَذَا هُوَ الدِّينُ، وَهَذِهِ عَقِيدَةُ الْمُسْلِمِ.
فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبغِضُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَبغَضُوا صحَابَةَ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَادَوْهُمْ،
وَهَذِهِ أَعْظَمُ الْحَقُوقِ.

خَمْسَةُ حُقُوقٍ جَعَلَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَصَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ.
هَذِهِ هِيَ الْحَقُوقُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُدْرَسَ، وَأَنْ تُعَلَّمَ، وَأَنْ يُرَبَّى عَلَيْهَا الْجِيلُ،
وَأَنْ تَسْمَعَ بِهَا الْأَذَانُ، فِي زَمَنِ عَلَّتْ فِيهِ أَصْوَاتُ النِّشَازِ الْمُتَجَرِّئَةِ عَلَى تَجْرِيحِ
صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالتَّنْقِصِ مِنْهُمْ.
فَلَا بُدَّ أَنْ يُشَاعَ بَيَانُ مَعْرِفَةِ حَقِّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ تَعْظِيمِهِ ﷺ.



(٣٠)

لا تُفِرُّوا في حسناتِك

•• ❁ ••

النجاة يوم القيامة تكون برُجحانِ كِفَّةِ الحَسَنَاتِ، فَمَنْ رَجَحَتْ كِفَّةُ حَسَنَاتِهِ فَازَ فَوْزًا مُبِينًا، وَمَنْ خَفَّتْ كِفَّةُ مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْحَسَنَاتِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا، وَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

وقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُبِينًا هَذِهِ الْقَاعِدَةُ: ﴿وَالْوِزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَآيِنَتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨-٩].

وَكَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٣].

وَكَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦-١١].

وقد اجتهدنا في شهر رمضان في جمع الحسنات، وطلبها، وتحصيلها؛ من صيام، وصلاة، وقيام، وزكاة، ودعاء، وهذا أمر محمود مطلوب.

لكن لا بد أن نتنبه أن العبرة لا تكمل بجمع الحسنات، بل العبرة تكمل

بِحِفْظِ الْحَسَنَاتِ، فَإِذَا اجْتَهَدْنَا فِي جَمْعِ الْحَسَنَاتِ، فَلَا بُدَّ أَنْ نَجْتَهِدَ اجْتِهَادًا مُضَاعَفًا فِي حِفْظِ حَسَنَاتِنَا، فَلَا نُفَرِّطُ فِيهَا.

ولعلَّ سائلًا يَقُولُ: وهلِ الْحَسَنَاتُ الَّتِي تُجْمَعُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَذَهَبَ، وَتُحْبَطَ، وَيَعْتَرِيهَا الْمَحْقُوقُ؟

أقولُ: نَعَمْ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ مُعَرَّضَةٌ لِآفَةِ الْأَكْلَةِ الَّتِي تَأْكُلُهَا، فَرُبَّمَا لَا تَبْقَى مِنْهَا شَيْئًا، أَوْ تُنْقَضُهَا، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْحَقِّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾** [آل عمران: ٢٢] فالأعمالُ قد تَحْبَطُ.

وكذا قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾** [الفرقان: ٢٣]. عندهم أعمالٌ صالحةٌ، لكنهم لم يجدوا لها أثرًا يومَ الْقِيَامَةِ.

ولعلَّ سائلًا يَسْأَلُ: ما هي هذه الآفاتُ الَّتِي إِذَا آتَتْ عَلَى الْحَسَنَاتِ أَذْهَبَتْهَا؟ والجوابُ: هُنَاكَ ثَلَاثُ آفَاتٍ تَأْتِي عَلَى الْحَسَنَاتِ فَتَأْكُلُهَا أَكْلًا، وَرُبَّمَا لَمْ تَبْقَ مِنْهَا شَيْئًا:

الآفَةُ الْأُولَى: الْكُفْرُ وَالشُّرْكُ وَالرَّدَّةُ عَنِ الدِّينِ، فَمَنْ وَقَعَ فِي هَذِهِ الْخِطْرَةِ أَصَابَتْهُ هَذِهِ الْأَكْلَةُ وَالْآفَةُ، فَأَذْهَبَتْ حَسَنَاتِهِ، دَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ. وَهُوَ فِي الْأَخْرَجِ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾** [المائدة: ٥].

وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأنعام: ٨٨].

وقوله **سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** (٦٥) **بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾** [الزمر: ٦٥-٦٦].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ أي: الكفار يُقاتلونَ المسلمَ المؤمنَ بأنواعٍ من الأسلحةِ والقتالِ، يُقاتلونه فكرياً، ومعنوياً، ويُقاتلونه بالأفلام، والبرامجِ والتطبيقاتِ، ويُقاتلونه بصنوفٍ شتى من أنواعِ الأسلحةِ لغايةٍ واحدةٍ؛ ليرتدَّ عن دينه، وانظرُ ماذا فعلت بعضُ الألعابِ والتطبيقاتِ بأبنائنا وشبابنا ﴿حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقد لا يتصورُ الإنسانُ، أنه بعدَ هذا الشهرِ الكريمِ من الطاعاتِ والصالحاتِ، أن يقعَ في الكفرِ أو الشركِ أو الردةِ، ويقولُ: هذا مُحالٌ. لكنني أقولُ: هذا مُمكنٌ، وأذكرُ ثلاثَ صورٍ من صورِ الكفرِ التي رُبما تكونُ في واقعنا:

الصورةُ الأولى: السُّخْريةُ بالدينِ، فإذا سخرَ العبدُ المسلمُ باللهِ سبحانه أو بشيءٍ من آياته، أو سخرَ بالنبِيِّ ﷺ، أو بشيءٍ من سنته وشرعه، فإنه يكفُرُ، ومع كلِّ أسفٍ قد نجدُ فينا من يسخرُ بالدينِ، أو ببعضِ تشريعاتِ الدينِ، ورُبما يسخرُ ببعضِ أحاديثِ سيدِ المرسلينَ ﷺ.

واللهُ سبحانه وتعالى يقولُ في سورةِ التوبةِ -التي من أسماؤها الفاضحةُ- عن نفرٍ كانوا مع النبيِّ ﷺ في غزوةِ تبوك، فسخرُوا بالنبيِّ ﷺ، وسخرُوا بأصحابه، قالوا: ما رأينا مثلَ قرائنا أرغبَ بطوناً، وأكذبَ ألسناً، وأجبنَ عندَ اللقاءِ. فنزلت آيةٌ من السماء، يقولُ فيها اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ

سُورَةٌ نُبِئْتُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخِرْتُمْهُ وَإِنِّي لَأُبْرَأُ مِنَ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ إِتْمَانًا سَاكِتًا لِيَقُولُوا لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ وَلَنَعْبُدُ قُلُوبًا بِلَا إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ وَرَسُولِهِ
 كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ
 نَعَذَّبِ طَآئِفَةً بِآيَاتِهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

الصورة الثانية: كراهية الشرع، نعم، قد تعجز نفسك عن فعل أمرٍ من أوامر الله، هذا واردٌ، لكن لا تكرر الشرع، ولا تُكره غيرك في شرع الله.

قال الله سُبحانه وتعالى في موضعين من كتابه في سورة محمد ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ سَمَّاهُمْ كُفَّارًا ﴿فَتَعَسَّأَ لَهُمْ وَأَصْلَ أَعْمَلُهُمْ﴾ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿[محمد: ٨-٩]، هذه نتيجة حتمية.

وقال سُبحانه وتعالى في موضع آخر: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

الصورة الثالثة: وهي مُنتشرة في واقع المسلمين مع كلِّ أسفٍ، فقد جاء عند الإمام أحمد في «مُسنده» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»^(١).

(١) أخرجه أحمد (٤٢٩/٢)، وأبو داود: كتاب الطب، باب في الكاهن، رقم (٣٩٠٤)، والترمذي: كتاب الطهارة، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض، رقم (١٣٥)، وابن ماجه: كتاب الطهارة، باب النهي عن إتيان الحائض، رقم (٦٣٩).

فَالَّذِي يَأْتِي الْكُفَّانَ، أَوْ السَّحْرَةَ وَيُصَدِّقُهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ، وَيَعْتَقِدُ اعْتِقَادًا جَازِمًا أَنَّ هَذَا السَّاحِرَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ الْمَطْلُوقَ، يَكْفُرُ بِاللَّهِ.

وَالآنَ لَا يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى السَّحْرَةِ فِي أَمَاكِنِهِمْ، فَهُمْ مَوْجُودُونَ عَلَى قَنَوَاتِ التَّوَاصُلِ، وَعَلَى الْفَضَائِيَّاتِ، وَيَتَّصِلُ بِهِمْ مَتَى شَاءَ؛ فَإِنْ صَدَّقَهُمْ بِمَا يَقُولُونَ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

الْأَفْئَةُ الثَّانِيَةُ بِمَا يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ: مَعَاصِي الْخَلَوَاتِ، أَي: أَنْ يَظْهَرَ الْإِنْسَانُ أَمَامَ النَّاسِ بِمَظْهَرِ التَّقِيِّ الصَّالِحِ، فَإِذَا خَلَا بِمَحَارِمِ اللَّهِ أَنْتَهَكَهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا عَلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا».

قَالَ ثَوْبَانُ -رَاوِي الْحَدِيثِ-: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ. قَالَ: «أَمَّا إِيَّاهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ» أَي: زَاخَمُوكُمْ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ «وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ أَنْتَهَكُوهَا»^(١).

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً وَلَا أَنْ مَا يُخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ^(٢)

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، رقم (٤٢٤٥).

(٢) اختلف في قائلها، فنسبها البعض إلى أبي نواس، انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (١٣/٤٥٥)، وديوان أبي نواس (ص: ٢٠١)، وهما أيضا في ديوان أبي العتاهية (ص: ٣٤)، ونسبها صدر الدين البصري في الحماسة البصرية (٢/٤٧) للحسن بن عمرو، وقال: وتروى لأبي محمد التيمي.

هُوَ يَخَافُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَعْلَمُوا بِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرَبِّبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الْإِلَهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يراني^(١)

الآفة الثالثة: ظلم الآخرين، فاحذر أن تكون ظالماً لغيرك، قريب هذا الغير أو بعيداً؛ والداك، أو أولادك، أو زوجك، أو جيرائك؛ فإن من ظلم عبداً في الدنيا مكَّنه الله تبارك وتعالى يوم القيامة من حسناته.

وقد قال رسول الله ﷺ لصحابته الكرام: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. قَالَ ﷺ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ» أشهر الأعمال في رمضان «وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٢).

فبعد أن جاء بحسنات عظيمة؛ حسنات الصيام والصلاة والزكاة، إذا به مُجْمَعٌ عليه سيئات الآخرين، ثم يُطْرَحُ فِي جَهَنَّمَ، والسبب أنه آذى الناس، أو ظلمهم

(١) نونية القحطاني (ص: ٢٩ - ٣٠).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٨١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بلسانه، تكلم في هذا، وقذف هذا، وشوه صورة هذا، يدور في المجالس، ويظن أنه
 مُتصِرٌّ، ولا يدري أنه هو الخاسرُ الخسران المبين.
 فحينما يتكلم في فلانٍ وفلانٍ، إنما هو يفتح لهم خزائن حسناته، تلك
 الحسنات البيضاء النظيفة، ويقول: خذوا منها ما تشاءون، فإن لم يبق معه حسنةٌ
 واحدةٌ، أخذ من سيئاتهم، ثم طرحت على ظهره، ثم طرح في جهنم.
 فلنحافظ على ما اجتهدنا في شهر رمضان في جمعه من الحسنات، وطلبها،
 وتحصيلها؛ من صيام، وصلاة، وقيام، وزكاة، ودعاء، حتى لا تكون خسارةً
 وحسرةً.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة المجموعة الثامنة	٥
مقدمة المجموعة الأولى	٦
١- موجبات المغفرة	٩
موجبات بها تُغفر الذنوب والآثام والسيئات	٩
الموجب الأول: الإيمان والتقوى المقرنان بالعمل الصالح	٩
الموجب الثاني: الاستغفار وهو طلب المغفرة من الله	١٠
الموجب الثالث: اجتناب الشرك	١١
الموجب الرابع: إحسان الوضوء، وإتمام الصلاة	١٢
الموجب الخامس: الاستماع والإنصات يوم الجمعة	١٣
كثرة الصلاة على النبي ﷺ من موجبات المغفرة	١٤
٢- فأعط كل ذي حق حقه، حقوق الآباء والأبناء والأقارب	١٥
ثلاثة أصناف لهم الحقوق الأولى التي ينبغي ألا تُفرض فيها	١٦
الصنف الأول: الوالدان	١٦
من صور التعدي على حق الوالدين:	١٧
التأفف منها والتضجر عليهما	١٧
عدم احترامهما، وإجلالهما، وتوقيرهما	١٧
الصنف الثاني: حق الأولاد على آبائهم	١٨

- ١٨ من صور التعدي على حقوق الأبناء:
- ١٨ التساهل في اختيار الأمهات
- ١٩ عدم تربيتهم على الخير والصلاح
- ١٩ الصنف الثالث: ذوو الأرحام
- ٢٠ من صور التعدي على حقوق الأقارب:
- ٢٠ عدم معرفتهم
- ٢٠ المكافأة في الوصل
- ٢٢ - فأعط كل ذي حق حقه، حق الزوجة**
- ٢٢ الحياة الزوجية قائمة على التكامل لا على التآكل
- ٢٣ من حقوق الزوجات على أزواجهن:
- ٢٣ الحق الأول: أن يرضى بها
- ٢٤ الحق الثاني: أن يسلمها صداقها كاملاً غير منقوص
- ٢٥ الحق الثالث: الإنفاق عليهن
- ٢٥ الحق الرابع: حسن المعاشرة
- ٢٦ الحق الخامس: أن يعرف ما تعاني منه زوجته فيداريها
- ٢٧ الحق السادس: أن يغار عليها
- ٢٧ الحق السابع: أن يلاطفها، ويشبع عاطفتها
- ٢٩ الحق الثامن: تعليمها ما ينفعها في أمر دينها ودنياها
- ٣٠ - زينوا بيوتكم**
- ٣٠ تزين البيوت يكون بأمر:

- ٣٠ الزينة الأولى: كثرة الصلاة فيها.
- ٣٢ الزينة الثانية: التواصي على الحق.
- ٣٣ الزينة الثالثة: كثرة الذكر.
- ٣٤ الزينة الرابعة: قراءة القرآن.
- ٣٥ الزينة الخامسة: أن يُسلم أهلها على بعض.
- ٣٧ ٥- لماذا الحب في الله؟**
- ٣٧ نعمة الإخاء والمحبة في الله.
- ٣٧ لماذا الحب والأخوة في الله؟
- ٣٧ أولاً: لأنه أوثق عرى الإيمان.
- ٣٨ ثانياً: للفوز بظل العرش يوم القيامة.
- ٣٩ ثالثاً: للفوز بمحبة الله.
- ٤٠ رابعاً: لتذوق طعم الإيمان.
- ٤٠ خامساً: للفوز بأعظم الأماكن عند الله يوم القيامة.
- ٤١ سادساً: للفوز بعلو المكانة عند الله.
- ٤٣ ٦- الحب في الله، ثماراً وضوابط**
- ٤٣ خمس ضوابط شرعية للحب في الله:
- ٤٣ الضابط الأول: اجعل حبك وأخوتك لله.
- ٤٤ الضابط الثاني: احرص على الانتقاء.
- ٤٦ الضابط الثالث: إذا أحببت فتوسّط في حبك.
- ٤٧ الضابط الرابع: لا تكثّر عتاب من تحب.

- الضابطُ الخامسُ: إِذَا أَحْبَبْتَ أَخَاكَ فِي اللَّهِ صَادِقًا، فَأَخْبِرْهُ أَنَّكَ تُحِبُّهُ ٤٨
- ٧- أَحْكَامُ النِّيَّةِ ٤٩**
- النِّيَّةُ هِيَ الَّتِي تُمَيِّزُ الْعِبَادَاتِ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ ٤٩
- إِصْلَاحُ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ ٥٠
- ثَلَاثَةُ أَحْكَامٍ لِلنِّيَّةِ: ٥١
- الْأَوَّلُ: لَكَ ثَوَابٌ مَا نَوَيْتَ، وَإِنْ لَمْ تُصِبِ الْمَرَادَ ٥١
- الثَّانِي: لَكَ الْإِعَانَةُ وَالسَّدَادُ بِقَدْرِ مَا مَعَكَ مِنْ نِيَّةٍ ٥٢
- الثَّالِثُ: أَنْوَ الْخَيْرِ حَتَّى فِي عَادَاتِكَ ٥٣
- ٨- لَا تَغْضَبْ ٥٥**
- الغضبُ شُعْلَةٌ نَارٌ تَتَوَقَّدُ فِي الْقُلُوبِ ٥٥
- الغضبُ يُعْمِي الْبَصَرَ، وَيُغْطِّي الْعَقْلَ ٥٦
- خَمْسُ وَصَايَا لِلْأَمَانِ مِنْ عَاقِبَةِ الْغَضَبِ: ٥٦
- الْوَصِيَّةُ الْأُولَى: بِقَدْرِ طَاقَتِكَ اجْتَنِبْ مَوَاقِعَ الْغَضَبِ ٥٦
- الْوَصِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ٥٧
- الْوَصِيَّةُ الثَّالِثَةُ: عَلَيْكَ بِالسُّكُونِ ٥٧
- الْوَصِيَّةُ الرَّابِعَةُ: أَنْ تَسْكُتَ، وَلَا تَتَكَلَّمَ ٥٨
- الْوَصِيَّةُ الْخَامِسَةُ: اسْتَحْضِرْ أَجْرَ مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ ٥٨
- ٩- الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ ٦٠**
- الْحَيَاءُ خُلُقُ الْأَتْقِيَاءِ ٦٠
- ثَمَارُ التَّخَلُّقِ بِخُلُقِ الْحَيَاءِ: ٦١

- ٦١ الفضيلة الأولى: أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يحبُّ هذا الخلق، ويحبُّ أهله
- ٦٢ الفضيلة الثانية: الحياء من الإيمان
- ٦٣ الفضيلة الثالثة: الحياء دين
- ٦٤ الحياء زينة
- ١٠ - مهلاً يا أعداء السنة**
- ٦٦ عقيدة أهل السنة والجماعة قائمة على تعظيم أحاديث رسول الله **ﷺ**
- ٦٧ لا يتعرف المسلم تفاصيل الدين إلا بما صحَّ من أحاديثه **ﷺ**
- ٦٧ لا يمكن للمسلم أن يحيا حياة طيبة إلا بالاستجابة لأمر الله، وأمر رسوله **ﷺ**
- ٦٨ الاجتهاد في تبليغ هدي رسول الله **ﷺ**، وما صحَّ من حديثه
- ٦٨ الرد على من يردُّ حديث رسول الله **ﷺ**، ولا يقبل به
- ١١ - لماذا يُزكُّون؟**
- ٧١ الدافع الأول: يُزكُّون امتثالاً لأمر خالقهم **سُبْحَانَهُ**
- ٧٢ الدافع الثاني: لعلمهم بمكانة الزكاة في الدين
- ٧٣ الدافع الثالث: لعلمهم بخطورة الامتناع عن أداء الزكاة
- ٧٤ الدافع الرابع: لعلمهم بأنَّ الزكاة تقي المُرْكِي الآفات والمصائب
- ٧٥ الدافع الخامس: علمهم بأنَّ الزكاة بوابة لسائر أعمال البر
- ١٢ - لماذا يتوبون؟**
- ٧٦ السبب الأول: امتثالاً لأمر خالقهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**
- ٧٧ السبب الثاني: تأسبياً واقتداءً بالصالحين من الأنبياء والمرسلين
- ٧٨ السبب الثالث: أنهم يعلمون أن من طبيعة البشر الخطأ، والوقوع في الذنب ...

- ٧٨ السببُ الرابعُ: لِيُبادِرُوا بالتوبةِ قَبْلَ أن يُغلقَ البابُ
- ٧٩ السببُ الخامسُ: طَمَعًا فيمَا أعدَّهُ اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** للتائبينَ
- ١٣ - لماذا يَعْفُونَ؟** ٨١
- ٨١ من خصائصِ ليلةِ النصفِ من شعبانَ
- ٨١ العفوُ والتسامحُ يُداوي القلوبَ المكلومةَ
- ٨٢ دوافعُ العفوِ
- ٨٢ الدافعُ الأوَّلُ: لِيَفوزوا بِمَحبةِ اللهِ تَعَالَى
- ٨٣ الدافعُ الثاني: لِلفوزِ بِعَفْوِ اللهِ
- ٨٤ الدافعُ الثالثُ: أَنَّهُم يُريدونَ العزَّ والسؤددَ
- ٨٥ الدافعُ الرابعُ: طَمَعًا في جَنّاتِ عَدْنٍ
- ٨٦ الدافعُ الخامسُ: طلبًا لراحةِ النفسِ وطُمأنينةِ القلبِ
- ١٤ - لماذا يَتَّقُونَ؟** ٨٨
- ٨٨ أعظمُ مقاصدِ الصيامِ تحقيقُ التَّقوى
- ٨٨ التقوى وصيةُ اللهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للأولِّينَ والآخِرِينَ
- ٩٠ الدوافعُ إلى التقوى كثيرةٌ، منها:
- ٩٠ الدافعُ الأوَّلُ: استجابةً لأمرِ اللهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**
- ٩٠ الدافعُ الثاني: طلبًا لتيسيرِ الأمورِ
- ٩١ الدافعُ الثالثُ: طلبًا لتَنزُلِ البركاتِ
- ٩١ الدافعُ الرابعُ: طلبًا للبصيرةِ والسدادِ
- ٩١ الدافعُ الخامسُ: طلبًا لِلفوزِ بِمَحبةِ اللهِ

- ٩٢ الدافع السادس: طلباً لرحمة الله.
- ٩٢ الدافع السابع: طلباً للنجاة من النار.
- ٩٢ الدافع الثامن: طلباً للفوز بالجنة.
- ٩٣ ١٥ - لماذا يصومون؟**
- ٩٣ لماذا يصوم المسلم ويُحْمَلُ نفسه هذه المشاق؟
- ٩٣ أولاً: يصوم استجابةً لأمر الله سبحانه.
- ٩٤ ثانياً: يصوم طمَعاً في الخير الذي في الصيام.
- ٩٤ ثالثاً: يصومون لِغَفْرَةِ الذنوب.
- ٩٥ رابعاً: يصومون طمَعاً في الجنة.
- ٩٥ خامساً: يصومون للنجاة من النار.
- ٩٦ سادساً: يصومون طمَعاً في شفاعَةِ الصيام.
- ٩٦ سابعاً: لعلمهم أن مَنْ خَتِمَ له بصيامٍ دخل الجنة.
- ٩٧ ثامناً: لعلمهم أن الصيام أعظمُ علاجاتِ القلوبِ مِنْ وَساوسِها.
- ٩٨ ١٦ - الفائزون بدعاء واستغفار الملائكة**
- ٩٨ النفس البشرية تتطلَّع دائماً إلى الفوز.
- ٩٨ الإيمان بالملائكة أصلٌ مِنْ أصولِ الاعتقاد.
- ٩٩ الفائزون بدعاء الملائكة هم:
- ٩٩ أولاً: التائبون المتبعون لسبيل رب العالمين.
- ١٠٠ ثانياً: مُعلِّمو الناسِ الخير.
- ١٠٠ ثالثاً: عَمَّارُ المساجد.

- ١٠١ رابعًا: عَوَّادُ المرَضَى
- ١٠١ خامسًا: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَكْلَةَ السَّحَرِ
- ١٠٢ سادسًا: الَّذِينَ إِذَا بَاتُوا تَطَهَّرُوا قَبْلَ مَبِيتِهِمْ
- ١٠٢ سابعًا: الْمُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
- ١٠٤ - الفَائِزُونَ بِظُلِّ الْعَرْشِ**
- ١٠٤ ماهِيَّةُ يَوْمِ الْحَشْرِ
- ١٠٦ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ
- ١٠٧ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ
- ١٠٨ الشَّهْدَاءُ يَفُوزُونَ بِظِلِّ الْعَرْشِ
- ١٠٨ الْمُتَّصِدُّقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ
- ١٠٩ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ
- ١١٠ - الفَائِزُونَ بِالنُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**
- ١١٠ مِنْ مَنِ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ أَنْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
- ١١١ سَبْعَةٌ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ يَفُوزُونَ بِالنُّورِ فِي الدُّنْيَا
- ١١٢ الصَّنْفُ الْأَوَّلُ: أَهْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ
- ١١٣ الصَّنْفُ الثَّانِي: أَهْلُ الصَّلَاةِ الْمُحَافِظُونَ عَلَيْهَا
- ١١٣ الصَّنْفُ الثَّلَاثُ: أَهْلُ الْقُرْآنِ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ مِنْهَجَ حَيَاةٍ
- ١١٤ الصَّنْفُ الرَّابِعُ: أَهْلُ الْإِخْلَاصِ
- ١١٥ الصَّنْفُ الْخَامِسُ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
- ١١٥ الصَّنْفُ السَّادِسُ: أَهْلُ الْجِهَادِ

- ١١٥ الصنف السابع: أهل الجمعة المحافظون عليها.
- ١١٧ **١٩ - الفائزون بجنت النعيم**
- ١١٧ الجنة وعدُّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لعباده الصالحين.
- ١١٨ الفائزون بالجنة مجموعاتٌ مُتعدِّدةٌ، منها:
- ١١٨ المجموعة الأولى: الطائعون لله ولرسوله **ﷺ**.
- ١١٨ المجموعة الثانية: التائبون، العائدون إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.
- ١١٩ المجموعة الثالثة: الصادقون المخلصون.
- ١٢٠ المجموعة الرابعة: المحافظون على صلاتهم.
- ١٢٠ المجموعة الخامسة: المحافظون لأستهم وفروجهم.
- ١٢١ المجموعة السادسة: الصابرون، المحسبون.
- ١٢١ المجموعة السابعة: الممسكون عن إيذاء الخلق.
- ١٢٣ **٢٠ - وزين لهم الشيطان أعمالهم**
- ١٢٣ الشيطان الرجيم عدونا الملازم لنا على الدوام.
- ١٢٣ من أخطر أساليب الشيطان في إغواء الإنسان تزيين الباطل.
- ١٢٤ صور تزيين الباطل:
- ١٢٤ الصورة الأولى: تزيين الكفر.
- ١٢٥ الصورة الثانية: تزيين القتل.
- ١٢٥ الصورة الثالثة: تزيين الرأي على الوحي، والعقل على النقل.
- ١٢٦ الصورة الرابعة: التلاعب بالحقائق وتوصيفها.
- ١٢٩ **٢١ - كيف تُحصن نفسك من الشيطان الرجيم؟**

- ١٢٩ آيتان عظيمتان في بيان ما توعد به الشيطان الرجيمُ
- ١٣٠ الحُرُوز والحُصُون التي تحصن من نزغات الشيطان
- ١٣٠ الحصنُ الأوَّلُ: إخلاصك في قولك وعملك
- ١٣١ الحصنُ الثاني: احرص على أن تكون في جماعة
- ١٣١ الحصنُ الثالثُ: عليك بالاستعاذة بالله منه
- ١٣٢ المواضع التي أمرنا الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فيها بالاستعاذة به من الشيطان الرجيم ...
- ١٣٢ الموضوعُ الأوَّلُ: عند قراءة القرآن
- ١٣٢ الموضوعُ الثاني: إذا دخلت المسجد
- ١٣٢ الموضوعُ الثالثُ: في الصلاة
- ١٣٣ الموضوعُ الرابعُ: عند الغضب
- ١٣٣ الحصنُ الرابعُ: أن تقول: (بِسْمِ اللَّهِ)
- ١٣٤ أعظمُ الحُرُوزِ أن تذكرَ الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**
- ١٣٥ أعظمُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
- ٢٢ - ضوابطُ التَّرفِيهِ ١٣٦**
- ١٣٦ الترفيه عن النفس مطلبٌ يحتاجه كلُّ الناسِ
- ١٣٨ أربعةُ ضوابطٍ للترويح والتَّرفِيهِ:
- ١٣٨ الضابطُ الأوَّلُ: احتسابُ الأجرِ
- ١٣٩ الضابطُ الثاني: الترفيهُ وسيلةٌ، فلا تجعله غايةً
- ١٣٩ الضابطُ الثالثُ: أن يكونَ الترفيهُ خاليًا من المخالفاتِ
- ١٤١ الضابطُ الرابعُ: ألا يكونَ فيه إيذاءٌ للآخرينِ

- ٢٣- المنهج النبوي في علاج الأخطاء اللفظية ١٤٣
- ١٤٣ امتنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى على هذه الأمة بِبَعثَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ
- ١٤٣ حُطُورَةُ اللِّسَانِ
- ١٤٤ نَمَازِجٌ فِي مَنَهَجِهِ ﷺ فِي تَصْحِيحِ الأَخْطَاءِ اللفظية
- ١٤٤ الخَطَأُ الأوَّلُ: خَطَأُ التَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيقِ لِلْمُسْلِمِينَ
- ١٤٥ الخَطَأُ الثَّانِي: الحُكْمُ لِلآخَرِينَ بِالْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ
- ١٤٧ الخَطَأُ الثَّلَاثُ: يَكُونُ فِي الدُّعَاءِ
- ١٤٧ صُورَتَانِ مِنْ صُورِ التَّعَدِّي فِي الدُّعَاءِ
- ١٤٨ الصُّورَةُ الأوَّلَى: التَّفْصِيلُ وَالتَّشْقِيقُ فِي الدُّعَاءِ
- ١٤٨ الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ: الدُّعَاءُ عَلَى النَّفْسِ، أَوْ الْوَالِدِ، أَوْ الْمَالِ
- ٢٤- الطَّرِيقُ إِلَى الْحِجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ١٥٠
- ١٥٠ الحِجُّ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ
- ١٥٢ أَوْصِي مَنْ نَوَى الْحِجَّ بِأَرْبَعِ وَصَايَا:
- ١٥٢ الوَصِيَّةُ الأوَّلَى: اجْعَلْ حِجَّكَ لِلَّهِ
- ١٥٢ الوَصِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: عَلَيْكَ بِحُسْنِ التَّأْسِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ١٥٣ الوَصِيَّةُ الثَّلَاثَةُ: تَحَلَّلْ مِنَ الْمَظَالِمِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ
- ١٥٤ الوَصِيَّةُ الرَّابِعَةُ: احْرِصْ عَلَى أَنْ تَكُونَ نَفَقَةُ حِجَّكَ طَيِّبَةً
- ٢٥- خَصَائِصُ يَوْمِ عَرَفَةَ ١٥٥
- ١٥٥ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾
- ١٥٦ يَوْمُ عَرَفَةَ؛ يَوْمٌ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ

- ١٥٦ يومٌ من أشهر الحج
- ١٥٦ يومٌ من الأيام المعلومات
- ١٥٦ أقسم الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** به
- ١٥٧ أحدُ الأيام الفاضلة من أيام العشر الفاضلة
- ١٥٧ يومٌ إكمال الدين، وإتمام النعمة
- ١٥٧ يومُ الميثاق
- ١٥٨ يومُ العتق من النار
- ١٥٨ يومُ الدعاء كله
- ١٥٨ يومُ عيد
- ١٥٩ صيام يوم عرفة
- ٢٦ - صلاة التطوع، فضائل وأحكام** ١٦٠
- ١٦٠ من فضائل صلاة التطوع:
- ١٦٠ أولاً: أنها تجبرُ نقصَ الفريضة
- ١٦١ ثانياً: بها تُرفعُ الدرجاتُ، وتُمحى السيئاتُ
- ١٦١ ثالثاً: التطوعُ سببٌ رئيسٌ في دخول الجنة
- ١٦٢ رابعاً: صلاةُ التطوعِ تجلبُ لك الخيرات
- ١٦٣ خامساً: أن العبدَ يرزقُ بمحبةِ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**
- ١٦٣ من أحكام صلاة التطوع:
- ١٦٣ أولاً: يجوزُ أن يؤدِّيها العبدُ جالساً بعذرٍ وبغيرِ عذرٍ
- ١٦٣ ثانياً: جوازُ أدائها وأنت راکبٌ

- ١٦٣ ثالثاً: جواز أدائها جماعةً في بعض الأحيان
- ١٦٤ رابعاً: إذا أُقيمت الفريضة، فلا تُصلَّى
- ١٦٥ **٢٧- البشارة، آداب وأحكام**
- ١٦٥ التبشير بالخير قيمة أخلاقية
- ١٦٦ بَشَّرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى العبد المؤمن ببشائر عدة
- ١٦٦ جبريل عليه السلام والملائكة يأتون ببشائر الخير
- ١٦٧ النبي ﷺ يمشي مع الناس ويُبشِّرهم
- ١٦٨ من أمثلة بشائر الصحابة بالخير:
- ١٦٨ المثال الأول: بشرى معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
- ١٦٨ المثال الثاني: بشرى ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا
- ١٦٩ المثال الثالث: أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تُبشِّرُ فاطمة بنت رسول الله ﷺ
- ١٦٩ المثال الرابع: بشرى أبي بكر وعمر لابن مسعود رضي الله عنهم
- ١٦٩ للبشارة أحكام وآداب، منها:
- ١٦٩ الأدب الأول: إذا بَشَّرْتَ أحداً بخيراً فاحتسب الأجر
- ١٧٠ الأدب الثاني: كُنْ صادقاً ولا تُبشِّرْ بالكذب
- ١٧٠ الأدب الثالث: إذا بَشَّرَكَ أحدٌ بشيءٍ فأعطه البشارة
- ١٧٠ الأدب الرابع: إذا جاءتك البشارة فاسجد شاكراً لله
- ١٧٢ **٢٨- أخي المعلم**
- ١٧٢ المعلم مجاهدٌ في مجتمعه
- ١٧٣ رسالة إلى المعلم، قد ضمنتها أربع نصائح:

- ١٧٣ النصحَةُ الأولى: كُنْ مُخْلِصًا
- ١٧٤ النصحَةُ الثانيةُ: كُنْ مُحَبًّا لِطَلَابِكَ، رَحِيمًا بِهِمْ
- ١٧٥ النَّصِيحَةُ الثَّالِثَةُ: كُنْ مُبَدِّعًا مُتَقَنَّا مُتَقَنَّا
- ١٧٦ النصحَةُ الرَّابِعَةُ: كُنْ قَدْوَةً
- ١٧٨ - ٢٩ - اللهُ اللهُ! بِأَصْحَابِي**
- ١٧٨ أَصْحَابُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ هُمْ حَوَارِيُّوهُ
- ١٧٨ مَكَانَةُ الصَّحَابَةِ وَفَضْلُهُمْ
- ١٧٩ التَّحْذِيرُ مِنَ الْمَسَاسِ بِالصَّحْبِ الْكِرَامِ
- ١٨١ خَمْسَةُ حَقُوقٍ لِلصَّحَابَةِ الْكِرَامِ:
- ١٨١ الْحَقُّ الْأَوَّلُ: أَنْ تَعْرِفَ قَدْرَهُمْ
- ١٨٢ الْحَقُّ الثَّانِي: أَنْ تُحِبَّهُمْ
- ١٨٢ الْحَقُّ الثَّلَاثُ: أَنْ تَتَأَسَّى بِهِمْ
- ١٨٣ الْحَقُّ الرَّابِعُ: الدُّعَاءُ لَهُمْ، وَالتَّرْحُمُ عَلَيْهِمْ
- ١٨٣ الْحَقُّ الْخَامِسُ: أَنْ يُحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُمْ، وَيُبْغِضَ مَنْ يُبْغِضُهُمْ
- ١٨٥ - ٣٠ - لَا تُفَرِّطْ فِي حَسَنَاتِكَ**
- ١٨٥ النَّجَاةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَكُونُ بِرُجْحَانِ كِفَّةِ الْحَسَنَاتِ
- ١٨٥ الْعِبْرَةُ لَا تَكْمَلُ بِجَمْعِ الْحَسَنَاتِ، بَلِ بِحِفْظِهَا
- ١٨٦ الْآفَاتُ الَّتِي إِذَا أَتَتْ عَلَى الْحَسَنَاتِ أَذْهَبَتْهَا:
- ١٨٦ الْآفَةُ الْأُولَى: الْكُفْرُ وَالشَّرْكُ وَالرَّدَّةُ عَنِ الدِّينِ
- ١٨٧ ثَلَاثُ صُورٍ مِنْ صُورِ الْكُفْرِ الَّتِي رُبَّمَا تَكُونُ فِي وَاقِعِنَا:

- ١٨٧ الصورة الأولى: السُّخْرِيَّةُ بِالَّذِينَ
- ١٨٨ الصورة الثانية: كراهية الشرع
- ١٨٨ الصورة الثالثة: إتيان الكُهَّانِ والسحرة وتصديقهم
- ١٨٩ الآفة الثانية: معاصي الخلوات
- ١٩٠ الآفة الثالثة: ظلم الآخرين
- ١٩٢ فهرس الموضوعات

